ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

بيني وبينك!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بَيني وبَينك!

(دوام حال محال! ولا يبقى على ما هو عليه إلا الذي لا إله إلا هو!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

بين الغموض والبيان

(كثير من الشعراء يَعمَدون ساعة يكتبون إلى حزمة من الغموض والألغاز والإبهامات والإيهامات يحشون بها أشعارهم. وأسأل: لماذا؟ إن الشعر له لغته السامية نعم. ولكن ليس للحد الذي لا تفهم معه فكرة الشاعر وماذا يريد أن يوصّل للقارئ. أذكر أنني في إحدى القوافي كنت أريد أن أضع أهل الحداثة في صورتهم فقلت في ذيل قافية من قصيدتي: (في كل بالوعة صرصار). وكان في نفسي شيء ، وشيء كبير ، من التذييل والتقفية بـ (صرصار) مع أنها كلمة تناسبهم. ولكن أستاذي سالم النوبي أنكر بشدة ما قلت. وأردف قائلاً: (إن للشعر لغته السامية). إن الشعر مخلوق طليق حر ، ويجب أن يكون طليقاً حراً إلى الأبد. وأعني بالحرية هنا حرية الصياغة وفق الحنيفية السمحة. وما أجمل الشعر عندما تحكمه العقيدة ويصاغ للخير! وقديماً قال أستاذنا محمد الخضر حسين: (ترتاح النفس لصور من المعاني يصنعها الخيال ، أو تخرج في ثوب قشيب من حسن البيان ، ذلك الارتياح لذة الشعر الذي هو صنع الألمعية المتلألئة ، والتخيّل الواسع ، والذوق الصحيح. ولا أظن أن في الناس من لا يلذ الشعر البديع متى أحسّ معانيه ، ووقعت في ذهنه بادية الوجوه كما كانت في ذهن مصوّرها. وإنما المشاهد أن الناس يتفاوتون في الارتياح للشعر على قدر تفاوتهم في صفاء الذوق ، وتقدير ما في معانيه من غرابة وحسن التئام ، أو تقدير ما في ألفاظه من حسن السبك وجودة التركيب. فإذا رأيت الرجل يسمع الشعر البارع ، ولا تلوح عليه أمارة الارتياح لسماعه فلأنه لم يحس ما فيه من إبداع وجودة صنعة. وكثيراً ما يعيب الناقد صورة معنى خيالي حيث لا يحس الناحية التي فعل فيها الخيال البارع فعلته).هـ. رحم الله الخضر حسين فلقد كان أديباً ألمعياً واسع الأفق!)

دامِـــع الـــذكرى ، يداجيـــه الغمـــوضُ ... نهـــض الكـــل ، وأضـــناه النهـــوضُ

بـــذل الخيـــر بأرحـــاب الســـكارى ... فـــإذا البـــرق تغشـــاه الـــوميض

عـــرف الكـــل مـــع التيســـير داري ... لـــم يُعرقـــلْ بســـمتي الوغـــدُ البغـــيض

وإذا الكـــل رفيقـــي وصـــديقي ... وإذا الفرحـــة يُزجيهـــا القـــريض

وإذا داري - بأصـــحابي - تســـامت ... لـــم يُعكـــر خلـــوتي يومـــاً غمـــوض

كنـــت فـــي القـــوم نـــذيراً مســـتبيناً ... سِـــلعتي فـــيهم هـــي النصـــحُ العـــريض

عـــن مســـاويهم ضـــربتُ الـــذكر صـــفحاً ... كـــان لـــي طـــرفٌ عـــن الســـوآى غضـــيض

جابـــه الطـــاغوتَ قلبـــي ، لـــم ينـــافق ... إنمـــا يســـتكتم الحـــق المـــريض

فعـــلا - فـــي النـــاس - حقـــي وبيـــاني ... وســـما التوحيـــدُ ، حتـــى والفـــروض

وتخـــذتُ الشـــعر طِرســـاً وحُســـاماً ... عنـــدما لـــم تفلـــح - اليـــوم - القضـــيض

واشـــتكى الشـــعر رمـــوزاً وغموضـــاً ... وأراد الجهـــرَ والصـــدعَ العـــروض

قلـــتُ: قـــد أفصـــحتُ عـــن كـــل النوايـــا ... فـــإذا بـــالنور فـــي قـــومي فضـــيض

ونثـــرتُ الحـــق فـــي الـــدنيا عطيـــراً ... فـــاكتوى مـــن ذلـــك النـــور الحضـــيض

وغرســـتُ البـــذرة النجلـــى وحيـــداً ... فأمـــات النبتـــة الـــوادي الحمـــيض

لامنـــي صـــحبي ، وقـــالوا: لا تـــذكّرْ! ... وي كـــأن القـــوم فـــي الـــدنيا بعـــوض!

قطعـــتْ إرهاصـــتي فـــي مهـــد صـــوتي ... شـــفرة فـــي حزهـــا صـــدقاً رمـــيض

وإذا التبيـــانُ فـــي قلبـــي يُعـــاني ... ولـــه طعـــمٌ – بأعمـــاقي - قبـــيض

ويراعـــي فـــي يمينـــي دون مـــأوى ... غـــار فـــي أحشـــائه الحبـــرُ النضـــيض

واســـتراح الكـــل واحـــتجّ فـــؤادي ... وإذا بالحـــال مكـــروبٌ جـــريض

وكتبـــتُ الشـــعر فـــي القِرطـــاس حُزنـــاً! ... صـــامتُ النبـــرة مخنـــوقٌ حـــريض

وإذا الأبيـــات دمـــعٌ وانتحـــابٌ! ... ناقـــة ألفاظهـــا كلمـــى جهـــيض

فـــارق الـــدر بطـــون الشـــعر حتـــى ... مَلـــه المَغنـــى ، وعافـــاه (الغـــريض)

زينـــة الـــدنيا قـــريضٌ فيـــه صـــدقٌ ... لـــيس فيـــه الـــرأيُ والـــرأيُ النقـــيض

إنمـــا يســـمو بحَبْـــك الصـــدق ثوبـــاً ... وبهـــذا الصـــدق تنســـاب الغـــروض

إن عـــز الشـــعر فـــي الأخـــلاق فعـــلاً! ... غابـــة بـــالزيف أو مُلـــكٌ عَضـــوض

قـــد تنزهـــتُ عـــن الـــزور شـــعاراً! ... ثابـــتٌ مهمـــا تحـــدتني العُـــروض

مرضـــي فـــي النـــاس صـــدقي وإبـــائي ... إنمـــا العـــزمُ لأســـقامي النفـــوض

قعـــد الصـــرعى علـــى بـــاب الطـــواغي ... وأنـــا لله أحيـــاني الركـــوض

أنســـجُ الخيـــراتِ شـــعراً وشـــعوراً ... وقريضـــي بســـنا التقـــوى يَفـــيض

يا هذه اعدلي بين رضيعيك!

(احتضنتْ لقيطاً ، وقالت: أربيه ابتغاء مرضاة الله تعالى! ودفعتْ به إلى أخت لها مرضع فأرضعته الرضعات المشبعات فصارت بذلك أختها أم رضاعة ، وصارت هي بذلك أم رضاعة وصارت هي خالة من الرضاعة! وفي موقف آخر لها أرضعتْ أحد الأبناء ذا نسب معلوم أباً وأماً ، وجزاها الله خيراً على بذلها وعطائها! ولكن الأمر الذي دفعني للكتابة عنها ولوصيتها بالعدل بين رضيعيها هو أنها تدخر التولة والحب والحنان والاحترام والتقدير والإنفاق بسخاء للرضيع اللقيط! بينما الرضيع ذو النسب لم يحظ منها والله بسؤال ولا بكلام ولا بدينار ولا بدرهم ولا بتولة ولا بتعبير! فلما عوتبتْ في ذلك قالت: على رضيعي ذي النسب أن يطلب مني ما يريد ويشتهي! على حين لم يطلب الرضيع اللقيط شيئاً ، فجميعُ طلباته مجابة قبل أن يطلبها! والحديث الرابع والأربعون من الأربعين النووية: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب). وننقله من النووي ونقتبس شرح ابن رجب له رحمهما الله. روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرضاعة تحرّم ما تحرّم الولادة. هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية عمرة عن عائشة وخرجه مسلم أيضًا من رواية عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. وخرّجاه أيضًا من رواية عروة عن عائشة من قولها ، وخرجاه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرجه الترمذي من حديث على عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع العلماء على العمل بهذه الأحاديث في الجملة! وإن الرضاع يحرّم ما يحرمه النسب! ولنذكر المحرمات من النسب كلهن حتى يعلم بذلك ما يحرم من الرضاع فنقول الولادة والنسب قد يؤثران التحريم في النكاح ، وهو على قسمين: أحدهما تحريم مؤبد على الانفراد وهو نوعان أحدهما ما يحرم بمجرد النسب فيحرم على الرجل أصوله وإن علون وفروعه وإن سفلن وفروع أصله الأدنى وإن سفلن ، فروع أصوله البعيدة دون فروعهن ، فدخل في أصوله أمهاته وإن علون من جهة أبيه وأمه ، وفي فروعه بناته وبنات أولاده وإن سفلن ، وفي فروع أصله الأدنى أخواته من الأبوين أو من أحدهما وبناتهن وبنات الإخوة وأولادهم وإن سفلن ، ودخل في فروع أصوله البعيدة العمّات والخالات وعمّات الأبوين وخالاتهما وإن علون ، فلم يبق من الأقارب حلالًا للرجل سوي فروع أصوله البعيدة وهن بنات العم وبنات العمات وبنات الخال وبنات الخالات ، والنوع الثاني ما يحرم من النسب مع سبب آخر وهو المصاهرة ، فيحرم على الرجل حلائل آبائه وحلائل أبنائه وأمهات نسائه وبنات نسائه المدخول بهن ، فيحرم على الرجل أم امرأته وأمهاتها من جهة الأم والأب وإن علون ، ويحرم عليه بنات امرأته وهن الربائب وبناتهن وإن سفلن ، وكذلك بنات بني زوجته وهن بنات الربائب ، نص عليه الشافعي رحمه الله وأحمد رحمه الله ، ولا يعلم فيه خلاف ، ويحرم عليه أن يتزوج بامرأة أبيه وإن علا وبامرأة ابنه وإن سفل ، ودخول هؤلاء في التحريم بالنسب ظاهر لأن تحريمهن من جهة نسب الرجل بسبب المصاهرة وأما أمهات نسائه وبناتهن فتحريمهن مع المصاهرة بسبب نسب المرأة فلم يخرجه التحريم بذلك عن أن يكون بالنسب مع انضمامه إلى سبب المصاهرة ، فإن التحريم بالسبب المجرد والنسب المضاف إلى المصاهرة يشترك فيه الرجال والنساء ، فيحرم على المرأة أن تتزوج أصولها وإن علوا وفروعها وإن سفلوا وفروع أصولها الأدنى وإن سفلوا من أخواتها وأولاد الإخوة وإن سفلوا وفروع أصولها البعيدة وهم الأعمام والأخوال وإن علوا دون أبنائهم ، فهذا كله بالنسب المجرد ، وأما النسب المضاف إلى المصاهرة فيحرم

عليها نكاح أبي زوجها وإن علا ونكاح ابنه وإن سفل بمجرد العقد ، ويحرم عليها زوج ابنتها وإن سفلت بالعقد وزوج أمها وإن علت ، لكن بشرط الدخول بها. والقسم الثاني التحريم المؤبد على الاجتماع دون الانفراد ، وتحريمه يختص بالرجال لاستحالة إباحة جمع المرأة بين زوجين! فكل امرأتين بينهما رحم محرم يحرم الجمع بينهما ، بحيث لو كانت إحداهما ذكراً لم يجُز له التزوج بالأخرى ، فإنه يحرم الجمع بينهما بعقد النكاح ، قال الشعبي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لا يجمع الرجل بين امرأتين لو كانت إحداهما رجلًا لم يصلح له أن يتزوجها ، وهذا إذا كان التحريم لأجل النسب ، وبذلك فسره سفيان الثوري وأكثر العلماء ، فلو كان لغير النسب مثل أن يجمع بين زوجة رجل وابنته من غيرها ، فإنه يباح عند الأكثرين وكرهه بعض السلف ، فإذا علم ما يحرم من النسب وكل ما يحرم منه ، فإنه يحرم من الرضاع نظيره ، فيحرم على الرجل أن يتزوج أمهاته من الرضاعة وإن علون وبناته من الرضاعة وإن سفلن وأخواته من الرضاعة وبنات أخواته من الرضاعة وعماته وخالاته من الرضاعة وإن علون دون بناتهن. ومعنى هذا أن المرأة إذا أرضعت طفلاً الرضاعَ المعتبر في المدة المعتبرة صارت أماً له بنص كتاب الله ، فتحرم عليه هي وأمهاتها وإن علون من نسب أو رضاع ، وتصير بناتها كلهن أخوات له من الرضاعة فيحرمن عليه بنص القرآن وبقية التحريم من الرضاعة استفيد من السنة كما استفيد من السنة أن تحريم الجمع لا يختص بالأختين ، بل المرأة وعمتها والمرأة وخالتها كذلك ، وإذا كان أولاد المرضعة من نسب أو رضاع إخوة للمرتضع فيحرم عليه بنات إخوته أيضًا ، وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من تزويج ابنة عمه حمزة وابنة أبي سلمة ، وعلل بأن أبو يهما كانا أخوين له من الرضاعة ، وتحرم عليه أيضًا أخوات المرضعة ، لأنهن خالاته وينتشر التحريم أيضًا إلى الفحل صاحب اللبن الذي ارتضع منه الطفل ، فيصير صاحب اللبن أباً للطفل وتصير أولاده كلهم من المرضعة أو من غيرها من نسب أو رضاع إخوة للمرتضع ، وتصير إخوته أعماماً للطفل المرتضع ، وهذا قول الجمهور من السلف ، وأجمع عليه الأئمة الأربعة ومن بعدهم ، وقد دل على ذلك من السنة ما روت عائشة رضي الله عنها أن أفلح أخا أبي القعيس استأذن عليها بعد ما أنزل الحجاب قالت عائشة فقلت: والله لا آذن له حتى أستأذن رسول صلى الله عليه وسلم ، فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأته! قالت: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال: ائذني له فإنه عمك تربتْ يمينك ، وكان أبو القعيس زوج المرأة التي أرضعت عائشة رضي الله عنها. خرجاه في الصحيحين بمعناه. وسئل ابن عباس عن رجل له جاريتان أرضعت إحداهما جارية والأخرى غلامًا أيحل للغلام أن يتزوج الجارية فقال: لا! اللقاح واحد ولو كان اللبن الذي ارتضع به الطفل قد ثاب للمرأة من غير وطئ فحلّ بأن تكون امرأة لا زوج لها قد ثاب لها لبن أو هي بكر أو آيسة. فأكثر العلماء على أنه يحرم الرضاع به وتصير المرضعة أماً للطفل قد حكاه ابن المنذر إجماعاً عمن يحفظ عنه من أهل العلم وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي وإسحاق وغيرهم. وذهب الإمام أحمد في المشهور المنصوص عنه إلى أنه لا ينشر التحريم به بحال حتى يكون له فحل يدر اللبن من رضاعه وحكي عن الشافعي قول مثله ، ولو انقطع نسبه من جهة صاحب اللبن كولد الزنا فهل ينشر الحرمة إلى الزاني صاحب اللبن؟ هذا ينبني على أن البنت من الزنا! هل تحرم على الزاني أم لا ومذهب أبي حنيفة وأحمد ومالك في رواية عنه تحريمها عليه خلافًا للشافعي وبالغ الإمام أحمد في الإنكار على من خالف في ذلك فعلي قولهم هل ينشر التحريم إلى الزاني صاحب اللبن فيكون أبا للمرتضع أم لا فيه قولان هما

وجهان لأصحابنا واختار ابن حامد أن التحريم لا ينتشر إليه واختار أبو بكر والقاضي أبو يعلي أن التحريم ينتشر إلى الزاني وهو نص أحمد وحكاه عن ابن عباس وهو قول إسحاق بن راهويه نقله عنه حرب. وينتشر التحريم بالرضاع إلى ما حرم بالنسب مع الصهر ، أما من جهة نسب الرجل كامرأة أبية وابنه أو من جهة نسب الزوجة كأمها وابنتها ، وإلي ما حرم جمعه لأجل نسب المرأة أيضًا كالجمع بين الأختين والمرأة وعمتها أو خالتها ، فيحرم ذلك كله من الرضاع كما يحرم من النسب لدخوله في قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ويحرم هذا كله للنسب فبعضه لنسب الزوج وبعضه لنسب الزوجة وقد نص على ذلك أئمة السلف ، ولا يعلم بينهم اختلاف ، ونص عليه الإمام أحمد ، واستدل بعموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأما قوله عز وجل {وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ} النساء فقالوا لم يرد بذلك أنه لا يحرم حلائل الأبناء من الرضاع ، إنما أراد إخراجَ حلائل الذين تبنوا ولم يكونوا أبناء من النسب كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة بعد أن كان قد تبناه وهذا التحريم بالرضاع يختص بالمرتضع نفسه وينتشر إلى أولاده ولا ينتشر تحريمه إلى من في درجة المرتضع من إخوته وأخواته ولا إلى من هو أعلي منه من آبائه وأمهاته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ، فتباح المرضعة نفسها لأبي المرتضع من النسب ولأخيه وتباح أم المرتضع وأخته منه لأبي المرتضع من الرضاع ولأخيه! هذا قوله جمهور العلماء وقالوا يباح أن يتزوج أخت أخته من الرضاعة وأخت ابنته من الرضاعة ، حتى قال الشعبي هي أحل من ماء قدس ، وصرح بإباحتها حبيب بن أبي ثابت وأحمد وروى الأشعث عن الحسن أنه كره أن يتزوج الرجل بنت ظئر ابنه ويقول: أخت ابنه ولم ير بأسًا أن يتزوج أمها يعني ظئر ابنه وروى سليمان التيمي عن الحسن أنه سئل عن رجل يتزوج أخت أخته من الرضاعة فلم يقل فيه شيئًا ، وهذا يقتضي توقفه فيه ولعل الحسن إنما كان يكره ذلك تنزيهاً لا تحريماً لمشابهته للمحرم بالنسب في الاسم ، وهذا بمجرده لا يوجب تحريماً ، وقد استثني كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم مما يحرم من النسب صورتين فقالوا: لا يحرم نظيرها من الرضاع إحداهما أم الأخت فتحرم من النسب ولا تحرم من الرضاع والثانية أخت الابن فتحرم من النسب دون الرضاع ولا حاجة إلى استثناء هذين ولا أحدهما. أما أم الأخت فإنما تحرم من النسب لكونها أماً أو زوجة أب ، لا لمجرد كونها أم أخت ، فلا يعلق التحريم بما لم يعلقه الله به! وحينئذ فيوجد في الرضاع من هي أم أخت ليست أماً ولا زوجة أب فلا يحرم لأنها ليست نظيراً لذات النسب. وأما أخت الابن فإن الله تعالى إنما حرم الربيبة المدخول بأمها فتحرم لكونها ربيبة دخل بأمها لا لكونها أخت ابنه والدخول في الرضاع منتف ، فلا تحرم به أولاد المرضعة ، ومما قد يدخل في عموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب لو ظاهر من امرأته فشبهها بمحرمة من الرضاع فقال لها أنت على كأمي من الرضاع فهل يثبت بذلك تحريم الظهار أم لا؟ فيه قولان: أحدهما أنه يثبت به تحريم الظهار وهو قول الجمهور ، منهم مالك والثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والحسن بن صالح وعثمان التيمي وهو المشهور عن أحمد. والثاني لا يثبت به التحريم وهو قول الشافعي وتوقف فيه أحمد في رواية ابن منصور).هـ. إن الأم الحقيقية لا تحتاج إلى طلب ، بل تبادر إلى العطاء والسخاء بدون أدنى طلب أو إشارة. فرحتُ أقول لها: اعدلي بين رضيعيك. وإذا كنت تؤمنين بأنه يحرم من الرضاعة ما يحرب من النسب فاعدلي! والأصل أن هذه المسائل التي أفضنا فيها وأطلنا فيها النفس وأبدأنا القول فيها وأعدناه مسائل يعلم أغلبها عجائز المسلمين فضلاً عن علمائهم! فكيف غابت عن إنسانة لها حظ من التعليم

والعلم؟! ثم إن مجتمع البادية يختلف في تكوينه وحرصه على حرمات الله وتطبيق القيم والأخلاق أكثر من مجتمع المدينة! وبما أن صاحبة قصيدتنا بدوية قحة! نعم بدوية حتى النخاع! فكان لزاماً عليها أن تطبق ما تعلمه من أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب! فإذا كان كل رضيع منهما ابناً لها في الرضاعة فللرضيع ذي النسب حق في الحنان والسؤال والمال ولو من باب الفضل مثل ها ذاك الرضيع اللقيط! ويزداد الأمر إحراجاً لها عندما نعلم أن الرضيع اللقيط تأتيه الكفالة والرعاية من كل صوب وحدب! على حين حرمها الرضيع ذو النسب! فيا لله ما أحن الطواغي على اللقطاء وأبناء السفاح! وإن كان هؤلاء الأبناء برئاء!)

أحـــرى بـــكِ العـــدلُ فـــي التوزيـــع والقِســـمِ ... إن كـــان يَعنيـــكِ أمـــرُ الواحـــد الحكـــمِ

مـــا العـــيشُ إن لـــم يكـــنْ عـــدلٌ يُجَمّلـــه ... ويُشـــعِرُ النـــاسَ بالأفضـــال والـــنعم؟

وأقســـطي إن فـــي القِســـط النجـــاة لنـــا ... مـــــن المهالـــــك والـــــداءات والإزم

أمُّ الرضـــــاعة كـــــالأم التـــــي ولـــــدتْ! ... وذاك واللهِ شـــــرعُ المصـــــطفى الهشـــــم

وذاك أمـــرٌ عليـــه النـــاسُ قـــد دَرَجـــوا ... وضـــاربٌ حُكمُـــه فـــي العُمـــق والقِـــدم!

ومـــا تغيّـــر نـــصٌ فـــي شـــريعتنا ... أم بـــات قلبـــكِ حقـــاً غيـــر ملتـــزم؟

الاثنـــان كـــلٌ بحكـــم الشـــرع مرتضـــعٌ ... وإن كـــــلاً لـــــه وشـــــيجة الـــــرحِم

والعـــــدلُ بينهمـــــا يزيـــــدُ حبهمـــــا ... ســـــتُفلحين إذا عـــــدلتِ فـــــي القِسَـــــم!

أنـــتِ التـــي اختـــرتِ ، مـــا أغـــراكِ مـــن أحـــدٍ! ... وقلـــتُ: تفعـــلُ مثـــلَ النســـوة العُصُـــم

تُـــؤوي الرضـــيع ، وتســـعى فـــي مصـــالحه ... وتبـــذلُ الحـــب عـــن طـــوع وعـــن رَغـــم

وتنفـــقُ المـــالَ فـــي عُســـر وفـــي سَـــعةٍ ... كـــيلا يعـــيش ابنهـــا فـــي فقـــره الـــوَخِم

وتصـــطفيه بـــأرجى العطـــف مُخلصـــة ... بخـــاطر فـــي التســـامي بـــالغ العِظـــم

وتســـتطيلُ علـــى النســـوان واثقـــة ... مـــن أن مـــا صـــنعتهُ جـــد محتـــرم!

ولـــيس تهجـــرُ ، والبيـــوت دانيـــة! ... هجـــرانَ كارهـــةٍ فـــرّتْ مِـــن الغمـــم

ولـــيس تهمـــلُ فـــي إبـــن يبادلهـــا ... حـــب الأمومـــة فـــي شـــوق وفـــي نهـــم

ولـــيس تقســـو علـــى مـــن أرضـــعت أبـــداً ... فـــلا يُلاقـــي ســـوى الإيـــلام والوصـــم

ولـــيس تجعـــلُ مـــن رضـــيعها هـــدفاً ... للعائـــــدات وللهمـــــوم والقحـــــم!

مَـــن أرضـــعت أختـــكِ الحنـــانُ موعـــده! أمســـــى يُعامـــــل بالتـــــدليل والكـــــرم!

ويُستشـــــــارُ ، ولا تُقصـــــــى مطالبـــــــه وإن تكلـــــم قـــــالوا: أعـــــذبُ الكلـــــم!

ويَطـــــربُ الكـــــل إن نـــــاغى بلثغتـــــه كأنمـــــا صـــــوته لـــــونٌ مـــــن الـــــنغم

رضـــيعُ أختـــكِ هـــا ذاك اللقـــيط ، فـــلا أبـــاً علمـــتِ لـــه فـــي ســـائر النســـم

ولـــــيس أمّ لـــــه كانـــــت مُربيـــــة لكـــــنّ فـــــاجرة ألقتـــــه كـــــالرمم!

أمـــا الرضـــيعُ الـــذي أرضـــعتِه مِـــرَراً وصـــرتِ أمـــاً لـــه فـــي شِـــرعة الســـلم

هـــــذا الرضـــــيعُ لـــــه أبٌ ووالـــــدة ترفعـــا عـــن حضـــيض العيـــب والـــتهم

أمســـــى بـــــذلك إنســـــاناً لـــــه نســـــبٌ فـــــلا يُعـــــايَرُ بـــــين الـــــدور والأمـــــم

أراكِ أهملتـــــه مـــــن كـــــل مَكرُمـــــة إهمـــال مَـــن أوغلـــتْ فـــي الغـــي والحُـــرُم!

أهملتـــه فـــي زهـــا عقـــدين قـــد مَضـــيا فهـــل برئـــتِ مـــن الأعـــراف والقِـــيم؟!

ومـــا ســـألتِ عـــن الأحـــوال ضـــاق بهـــا ذرعـــاً ، وعـــانى مـــن الـــبلاء والســـدم

كـــــلا ، ومـــــا زرتـــــه تشـــــجين غربتـــــه تلـــــك التـــــي مُلئـــــتْ بالضـــــنك والألـــــم

ولـــــم تمـــــدّي لـــــه بـــــالجود كـــــف عطـــــا فخـــــاب ظـــــن الفتـــــى فـــــي الأم والحشـــــم!

ولـــــم تكـــــوني لـــــه أمّـــــاً يتـــــوق لهـــــا إن كـــــان مُنفطِمـــــاً أو غيـــــرَ مـــــنفطم!

ولـــــم تُعـــــدّي لهـــــذا الشـــــبل عُدّتـــــه مِـــــن مَخبـــــر نضِـــــر ، أو مظهـــــر ســـــنم

ولـــــم تكـــــوني لـــــه ردءاً يتيـــــه بـــــه ولـــــم تضـــــيئي لـــــه القنـــــديلَ فـــــي الظلـــــم

ناشـــــدتكِ العـــــدلَ يـــــا أختـــــاه بينهمـــــا! وأجعـــــلُ النصـــــحَ فـــــي بـــــدءٍ ومُختـــــتم!

بين عالم شجاع وأمير رَجّاع

(أورد أستاذنا وحيد بالي في كتابه (المتكبرات في المحاضرات) ما نصه: (حين قدم سليمان بن عبد الملك وهو يريد مكة ، وأرسل عالمها الجليل أبا حازم ، فلما دخل عليه قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خرّبتم آخرتكم ، وعمّرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب. قال: كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين ، فكالغائب يُقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يُقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لي عند الله؟! قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال: (إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم). قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين. قال: يا أبا حازم أي عباد لله أكرم؟ فقال: أهل البر والتقوى. قال: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال: أي الكلام أسمع؟ فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو. قال: فأي المؤمن أخسر؟ فقال: رجل أخطأ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ فقال: أوَتعُفيني؟ قال: لا بد ، فإنها نصيحة تلقيها إليّ. فقال: إن أباك قهر الناس بالسيف ، وأخذ هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم مقتله عظيمة وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم. فقال رجل من جلسائه: بئسما قلت. قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فقال سليمان له: يا أبا حازم ، كيف لنا أن نصلح الناس؟ قال: تدع الصلف ، وتستمسك بالعروة ، وتقسم بالسوية).هـ. قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى وأطال عمره في طاعته في شرحه على سنن أبي داود رحمه الله: قال المصنف رحمه الله تعالى: [عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر)]. أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر) ، وذلك أن الجهاد فيه احتمال السلامة واحتمال الهلاك ؛ لأنه يقتل ، وقد ينتصر ويغلب ، ويحصل الغنيمة والأجر والثواب من الله عز وجل ، وأما السلطان الجائر فهو قاهر لمن بين يديه ، فيبطش به ، ويؤدي ذلك إلى هلاكه ، ويكون هلاكه أقرب من هلاك من يجاهد في سبيل الله ، فمن أجل ذلك كانت الكلمة التي تقال عنده بهذه المنزلة ، والمقصود من ذلك: أنه عندما يقول كلاماً باطلاً في مجلسه لا يسكت عليه ، وإنما يبين أن الحق هو كذا ، ولا يقر الباطل ويسكت عليه ، وإنما يبين الحق وأنه خلاف ما يقول ، وأن الذي قاله ليس بصحيح وإنما الصحيح هو كذا وكذا ، لأن هذا هو الذي جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ، فكونه يكون عند سلطان جائر معناه: أنه يكون عرضة للهلاك ، لاسيما إذا كان ذلك الجائر معروفاً بإزهاق النفوس وإتلافها بأي سبب من الأسباب ولو كان أمراً يسيراً والجور في السلطان كونه يبطش بالناس ، ومن السهل عليه إزهاق النفوس ، مثل ما اشتهر به الحجاج من البطش والشدة والقسوة ، وسهولة القتل عليه ، ولهذا كان بعض العلماء يكره أن يحدث مثل الحجاج بالحديث الذي فيه قصة العرنيين ، وأنهم حصل منهم كذا. والرسول عمل فيهم كذا وكذا. لأن هذا يجرئه على بطشه وجوره. والصدع بالحق يعني به العلماء الذين عندهم معرفة ، وإلا فإن غير العالم يمكن أن ينكر ما هو معروف لجهله وعدم بصيرته ، فليس كل واحد يقبل منه الأمر والنهي ، ولهذا قالوا: لا بد في الأمر والنهي من العلم والبصيرة ، لقول الله عز وجل: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنِ اتَّبَعَنِي).هـ. إنه ينبغي للعالِمِ أن يقول الحق ، فإذا لم يقدر على قوله سكت حتى لا يُضلل الناس ، وكان صمته أبلغ من حديثه بالباطل وأقل إساءة!)

رِزْقنـــا والمـــوتُ - قطعـــاً - والْعُمُـــرْ ... بيـــــدِ الله المليـــــكِ المُقتـــــدرْ

خـــط آجـــالاً وأرزاقـــاً ، فمـــا ... تـــرك التـــدبيرَ يومـــاً للبشـــر

إن نعِـــشْ ، فـــالقوتُ مكفـــولٌ لنـــا ... أو نمـــتْ ، فـــالأرضُ مـــلأى بـــالحُفر

فـــيم نخشـــى النـــاس إنْ هـــم هـــدّدوا ... وبلوْنـــا بـــالتجني والضـــرر؟

فـــيم نبقـــى فـــي متاهـــات الشـــقا ... ثـــم نصْـــلى بالمصـــير المُســـتعر؟

فـــيم نرضـــى بـــالتردّي عِيشـــة ... تقتـــلُ الإحســـاسَ فينـــا والنظـــر؟

فـــيم نســـتجدي الرضـــا مِـــن طغمـــةٍ ... هـــم - علـــى التحقيـــق - فـــي الـــدنيا حُمُـــر؟

هـــذه الـــدنيا ســـرابٌ ، والـــذي ... يعبـــدُ الـــدنيا سيغشـــاه القتَـــر

حُلوُهـــا مُـــرٌ ، ومِلـــحٌ عـــذبُها ... خـــابَ مفتـــونٌ - ببلواهـــا – يُغَـــر!

ولأهـــل العلـــم فيهـــا رؤيـــة ... ترشـــدُ العقـــلَ ، وتســـمو بالبصـــر

هـــؤلاء القـــومُ خيـــرٌ منهجـــاً ... ولهـــم جهـــدٌ عظـــيمٌ مُبتشـــر

ينصـــحون القـــومَ حتـــى يرشُـــدوا ... بكـــلام فـــاق - فـــي الحُســـن - الـــدُرر

ويصـــونون الســـجايا والهُـــدى ... ويزفـــون الوصـــايا والعِبَـــر

لا يخـــافون الـــورى مهمـــا علـــوْا ... بـــل - لأهـــل البغـــي - يُزجـــونَ النـــذر

صـــدقوا المـــولى ، فـــأعلى شـــأنهم ... إذ لهـــم - فـــي النـــاس - ميمـــونُ السِـــيَر

حملـــوا للحـــق أســـمى رايـــةٍ ... واســـتهانوا بالزرايـــا والغِيَـــر

فـــإذا بالجيـــل يســـعى خلفهـــم ... ينهـــلُ الـــذكرى ، ويستقصـــي الخبـــر

إنـــه المجـــدُ ، وهـــم أربابُـــه ... وبمـــا حـــازوه - دَومـــاً - نفتخـــر

بين نارين!

(يعجبُ المرء من قوم يحرقون جثة ميتهم ، وعندما تتفحم الجثة يدفنونها! أي دين؟ وأي عقل؟ وأي منطق؟ وعلى هذا يكون ميتهم بين نارين: نار الدنيا ، ونار الآخرة والعياذ بالله. فرُحتُ أناشد هؤلاء الحمقى من عبيد إبليس أنهم وصاحبهم إن لقوا الله - على هذا الكفر وتلك العقيدة الفاسدة - فمصيرهم النار وبئس المصير! وتحت عنوان: (صور خطوات الهندوس لحرق موتاهم) تقول الأستاذة ماري مراد ما نصه: (تُقدّس طائفة الهندوس دولة الهند ، ويعتبرونها أكثر الأماكن المقدسة على الأرض. ويقوم أتباع الهندوسية بحرق موتاهم بعد إتمام مراسم الجنازة لاعتقادهم بأن ذلك ضروري حتى ترتفع الروح إلى السماء. كما يعتقد الهندوس أن حرارة النار هي المطهر النهائي للروح بعد الماء ، فالماء هو المطهر الأول ، وحرارة النار هي المطهر الثاني. وعندما يموت الإنسان تبقى روحه بالقرب من رفاته حسب المعتقدات الهندوسية ، فيقوم بإجراء طقوسهم حتى 13 يوماً كي ترقد الروح بسلام. والروح عند الهندوس تتكون من الماء والتراب والنار والهواء والسماء! والحرق يعيد الروح إلى حالتها الأصلية حسب اعتقادهم ، وبالتالي تبدأ الرحلة الجديدة لروح الميت. واستطاع مصور أن يلتقط صوراً للساعات الأخيرة لجثة هندوسي متوفى قبل إتمام عملية الحرق في مانكاريكنا جاتس ، أكبر موقع للحرق في فارانسي ، حسبما أفادت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية. فهم يعدون الحطب إضافة إلى مجموعة من الحيوانات والأشخاص في انتظار الجثة التي سيتم حرقها. وهناك مجموعة من الأشخاص حاملين الجثة في طريقهم إلى نهر الغانج ، لغسلها للتطهير استعدادًا للحرق. ويجلس مئات الأشخاص من كبار السن والمرضى بجوار نهر الغانج في انتظار قدوم ساعة النهاية. وبخلاف الأعراف كافة ، لا تغلب على الجنازات مظاهر الحزن ، إنما يجلس الأشخاص يضحكون ويلعبون بعد أن أعدوا مراسم الجنازة ، وذلك بسبب أن الهندوس لا يرون أن الموت خسارة ، لكن الشخص الذى يموت كالثوب البالي ، الذي لزم التخلص منه. عملية الجنازة أمر حيوي في تحقيق السكينة لروح الميت ، ومراحل الطقوس العديدة يجب أن تؤدى بشكل صحيح ، وإلا لن تجد الروح طريقها في الحياة الآخرة. وأخيرًا تصل جثة المتوفى إلى النهر ، ملفوفة في كفن برتقالي ، ولا بد من أن يتم حرقها في غضون 24 ساعة من وقت الوفاة. والرجل الذى يرتدى الأبيض هو أحد أقارب المتوفى والمكلف بتنفيذ الطقوس الجنائزية ، ولا يسمح للنساء بحضور الجنازات خوفًا من أن تبكي إحداهن فتفسد الجو العام. بعد ذلك تترك جثث المتوفين على الدرج لمدة ساعتين تقريبًا لتجف قبل الحرق. بعد ذلك يتم نقل الجثث إلى مكان الحرق، حيث يوجد أكوام من الخشب ، يتم اختيارها بعناية وفقًا لمستوى الأسرة المادي. ويعتقد الهندوس أن الموت معدى ، لذا فلا يسمح لأحد بلمس الجثة سوى مجموعة يطلق عليها "doms" ، ما جعلهم يحققون ثروة ضخمة. وفي عالم الهندوس لا يوجد توابيت ، لكنهم يقومون بدفن مجموعة مختارة منهم بدلًا من حرقها ، مثل رجال الدين والأطفال الذين يموتون دون سنتين ، لأن روحهم طاهرة ، أما اللصوص والمنتحرين فيتم حرقهم ، لكنهم يعتقدوا أن الحرق لن يستطيع تطهير أرواحهم لكثرة ذنوبهم. ويتم وضع القدمين في اتجاه الجنوب تجاه إله الموت ، ورأسه نحو الشمال نحو إله الثروة. وبعد أن تم حرق الجثة! وإن لم يكن لدى الأسرة الأموال الكافية لجلب مزيد من الأخشاب ، تطفئ النيران بمياه النهر ثم يلقى الرماد في مياه النهر ، ويسمح للسياح بمشاهدة طقوس الجنازة لكن لا يسمح بالتصوير).هـ. وفي جريدة (رأي اليوم) وتحت عنوان: الفاتيكان: يمكن للكاثوليك حرق

جثث الموتى دون نثر الرماد. جاء ما نصه: (وفي مدينة الفاتيكان أكد الفاتيكان مجدداً في توجيهات اليوم الثلاثاء أنه ينبغي ألا ينثر الكاثوليك الرماد المتبقي من حرق جثث الموتى أو يحتفظون به في المنازل ، مع الإشارة إلى أنه رغم أن حرق الجثث غير محظور إلى أن الدفن التقليدي أفضل).هـ. وورد في (شبكة الأخبار العربية) وتحت عنوان: (ثقافة حرق الموتى) يوم السبت 15 يوليه 2017م ما نصه: (الموت واحد لدى كل الشعوب! أما ما بعد الموت فهو سؤال تنوعت النظرة إليه فبات لكل شعب فكرته الخاصة عن الموت والموتى. وحرق الموتى هو عادة قديمة لا زالت قائمة في بعض الدول كالصين واليابان والهند ، حيث يتم حرق جثة الميت باستخدام درجات الحرارة المرتفعة للحرق والتبخر والأكسدة ، وقد تكون تلك العملية في محرقة الجثث أو في الهواء الطلق كما في الهند ونيبال. بينما "ساتي" هي عادة هندية يتم بموجبها إرسال زوجة الميت إلى المحرقة حيث يتم تقييدها وإجبارها على ذلك في الكثير من الأحيان. وتعتبر "ساتي" شكل من أشكال التضحية بالنفس التي مارستها أغلب الحضارات القديمة ففي مدينة أور السومرية تم اكتشاف عشرات الهياكل العظمية البشرية في المقابر الملكية وهو يرتدون كافة ملابسهم الرسمية وآلات موسيقية وهو ما يدل على ان أولئك قد يكونوا جواري وموسيقيين دفنوا بعد أن تم قتلهم بالسم ثم تم رصهم إلى جانب الملك. وقد كان الفايكنج في القرن العاشر الميلادي يدفنون الجواري ليرافقن أسيادهن في رحلة ما بعد الموت. ويقال أن الإسكندر المقدوني قد شاهد تلك العادة ، وحاول منعها عند احتلاله للهند في القرن الرابع الميلادي. ثم حاول نفس المحاولة أباطرة المغول في القرن السادس عشر ، وعندما دخل الإنجليز للهند حاولوا ممارسة تلك العادة. واليوم فالساتس ممنوعة في كل أرجاء الهند ويعاقب أي شخص يحاول إجبار الأرملة أو يساعدها على إحراق نفسها مع زوجها. إلا أنه لا زالت بعض الزوجات تحاول فعل ذلك وبعض الهنود يشجعون تلك الأفعال باعتبارها رمزاً للإخلاص والتضحية بالنفس ، إلا أن الحكومة الهندية تواجه ذلك كله بالمزيد من الإجراءات المشددة. ففي عام 2006 م قامت عجوز هندية بالقفز إلى النار أثناء جنازة زوجها واحترقت حتى الموت! وقبلها بشهور رمت أرملة شابة بنفسها إلى داخل المحرقة عمداً ، إلا أن أسرتها وأقاربها نجحوا في إنقاذها قبل أن تحترق أو تموت ، وينتشر أسلوب إحراق جثث الموتى في بلدان كثيرة ، خصوصًا عند الهندوس والبوذيين وعامة الوثنيين من الهنود وغيرهم. ومن المعروف أن أسلوب إحراق الجثث كان يمارس في جميع العصور. لكن لم يستخدمه الصينيون القدماء أو المصريون ، بل مارسه الإغريق والرومان القدامى. وكانوا يعتقدون أن إحراق الجثة يُطهر الروح ، ويُحررها من شكلها الأرضي. ويعتبر حرق الجثث طقس من الطقوس التي تتبعها الديانة الهندوسية - أكبر ديانات الهند – ويعلل الهنود حرقهم للجثث بأن روحه بذلك ترتفع إلى السماء ؛ لأن حرارة النار التي تحرق الجثث تساعد على تطهير النفس من الذنوب ، وحسب اعتقادهم أن الحرق يُعيد الروح إلى أصلها ، ويسمى ذلك في عقيدتهم: "عقيدة الفناء" أو "السوتي" ، أو "قربنة الذات" ، هذا الأمر الذي رفضته جميع الديانات والنحَل).هـ. من أجل ذلك كانت هذه القصيدة التي تصف حال الكفار إذ يفعلون ما لا يقره عقل ولا منطق!)

أمهلـــــوهُ يـــــا عابـــــدي الشـــــيطانِ فالمصـــــير حتمـــــاً إلـــــى النيـــــرانِ

لـــم يـــزل - فـــي الكفـــران - سَـــمتاً وهـــدياً مستســـــــيغاً شـــــعائرَ الكفـــــران

راتعـــاً - فـــي الشـــرك - اختيـــالاً وزهـــواً ... مســـــــتطيباً عِبـــــادة الأوثـــــان

مســـــتجيباً – للترّهـــــات - رضِـــــياً ... تابعـــــاً للأحبـــــار والكُهّـــــان

ســـادنو الأصـــنام اســـتخفوا جهـــولاً ... معرضـــاً عـــن حقيقـــة الإيمـــان

أوهمـــــوه أن الأباطيـــــل حـــــقٌ ... والضـــــلالات جـــــوهر الإحســـــان

فاســـــتبدوا بعقلـــــه والطوايـــــا ... فارتـــأى حقـــاً نِحلـــة الشـــيطان

عـــاش مثـــل الأنعـــام ، بـــل كـــان أدنـــى ... هـــل ذكـــاءٌ يـــأتي مـــن الثيـــران؟

عـــاش يهـــذي دون اعتبـــار ، ويخـــزى ... مـــوغِلاً فـــي التضـــليل والعصـــيان

وانقضـــى العمـــر فـــي المتاهـــة طابـــت ... فـــي التـــدني والبغـــي والطغيـــان

ثـــم حَـــلّ المـــوتُ الـــزؤامُ ســـريعاً ... صـــاغ نصـــاً مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

ثـــم بـــات العبـــد الكفـــور فقيـــداً ... بـــات ذِكـــرى فـــي عـــالم النســـيان

والرفـــاقُ قـــد قـــدّموه شِـــواءً ... كـــي يُصَـــلى فـــي باحـــة الأفـــران!

صـــار مثـــل الأســـماك تُشـــوى وتُقلـــى ... أو كلحـــم يُطهـــى علـــى القضـــبان

أحرقـــوا الجُثمـــان المســـجى ، وجَـــدّوا ... فـــي امتهـــان كرامـــة الجُثمـــان

كشـــفوا الكفـــين اتباعـــاً لفتيـــا ... بعـــدما صـــاغوا باقـــة الأديـــان

ثـــم بعـــد الكفـــين كُشِّـــفَ وجـــهٌ ... أخرجـــوه مـــن لفـــة الأكفـــان

ثـــم بعـــد الإحـــراق بالنـــار ، هـــا هـــم ... أخرجـــوا الفحـــم لاذ باطمئنـــان

وشُـــواظ النيـــران أنضـــجَ جســـماً ... واعـــتلاه - فـــي التـــو - بعـــضُ دخـــان

نـــارُكم هـــذي تعـــدل اليـــوم جـــزءاً ... واحـــداً يـــا حثالـــة العُبـــدان

مـــن حـــوالي ســـبعين جـــزءاً أعِـــدتْ ... عنـــد ربـــي – للكـــافر - الخـــوان!

بينكما أنا الغريب!

(قبل سنوات كتبت قصيدة بعنوان: (خالصة أجرة الشحن!). وقمت بنشرها في جريدة (الوحدة العربية). وملخص هذه القصيدة هو أن أحد عبيد المال باع زوجته بمال عرَضه عليه أحد أرباب الأموال. وأياً ما كانت الملابسات ومعيار الصدق في هذا الكلام فإنه لا يعنيني كثيراً. إذ الراوي عندي ثقة تقوم به الحجة. واليوم أضرب على ذات الوتر ، حيث أقوم بكتابة هذه القصيدة كشاهد على هذا العصر الذي قل خيره ، وكثر بلاؤه وشره. والله المستعان. دعا رجل حسن النية أحد الذئاب البشرية إلى بيته ، زاعماً أنه إنسان محترم. وعندما أخذ ذلك الأثيم يسترق النظر إلى زوجة المضيف. وكانت هي الأخرى على ذات الشاكلة التي عليها الضيف النذل الخائن الغادر. ولم يزالا على هذه الأسلوبية القذرة حتى عشق كل طرف الآخر. ومضى ذلك اللقاء الأثيم ، وكان الزوج الغافل آخرَ من يعلم. حيث تلت هذه اللقاءات مواعيدُ ولقاءاتٌ أخرى من وراء الكواليس ، وساعد على ذلك عمل الزوج والزوجة في شركة يرأسها العاشق الغادر. ولما استوثق الزوج من خيانة حرمه غير المصون وصديقة غير الوفي ، قال له: إنني أنا الغريب بينكما. وأخذ يساومه على الصفقة كي ينهي الخيانة. فقبل الثاني وقال: بالذي تريد. فقال فقط: نصف مليون. فقبل الثاني ، وتنازل الأول عن غادرةٍ خائنة ، وأخذ أولاده ، ولم يندم كثيراً عليها. وبدأ حياة نظيفة مع زوجةٍ مؤمنةٍ موحّدةٍ تقيّة. وصانت الزوجة الثانية العِرض وصلتِ الخمس ، وضمّت أولادها إلى أولاده وكانت أمّاً للجميع. وأبدله الله خيراً من زوجه العاشقة الخائنة وتخيلته يقول للأولى:)

خرقـــــتِ بمـــــا أتيـــــتِ توقعـــــاتي ... وســـــربلتِ الخُطـــــا والأمنيـــــاتِ

وحطمـــــتِ المحبـــــة بـــــالتردي ... ودمّـــــرتِ الهـــــوى والـــــذكريات

وزلزلـــــتِ الكرامـــــة والســـــجايا ... وكبلـــــتِ الوفـــــا والمَكرُمـــــات

وحُـــــزتِ مـــــن الخُلاعـــــة مُنتهاهـــــا ... وعنـــــد النـــــاس سَـــــيلُ البينـــــات

وكنـــتِ - مـــن الإهانـــة - فـــي حضـــيض ... بـــــه اجتمعـــــتْ جمـــــوعُ الفاســـــقات

وأتقنـــــتِ الخنـــــا فـــــناً وحظـــــاً ... وفُـــــقتِ بمـــــا أتيـــــتِ المُجرمـــــات

وأغـــــراكِ التبـــــذلُ والتـــــدني ... فســـــرتِ علـــــى دروب الســـــاقطات

وواعـــــدكِ العشـــــيقُ نـــــوالَ عـــــز ... وبـــــين يـــــديكِ ســـــاق المغريـــــات

ليُـــوهِمَ - بـــالوداد - مـــن اصـــطفاها ... لمُتعتـــــه ، وأجـــــزل فـــــي الهبـــــات

ونـــــوَّع فـــــي التقـــــرب والهـــــدايا ... بأســـــلوب الدهاقنـــــة الغـــــواة

لكـــــي يصـــــطاد قلبـــــاً مســـــترياً ... ونفســـــاً أوغلـــــتْ فـــــي الترَّهـــــات

وعاطفـــــة تبـــــاع بكـــــل ســـــوق ... وإحساســـــــاً يجِـــــب الســـــيئات

وروحـــاً - فـــي أتـــون الوحـــل - غاصـــت ... وأمســـــت تحتفـــــي بالمُوبقـــــات

وزوجـــــاً لا تتـــــوق إلـــــى عفـــــافٍ ... ولا تهـــــوى ريـــــاض المُحصـــــنات

وذاتـــــاً للفجـــــور تحـــــنّ طوعـــــاً ... وتوغـــــل فـــــي ديـــــاجي المُخزيـــــات

يبادلهـــــا شـــــعوراً مســـــتعاراً ... ويخـــــدعُها بتخييـــــل الحُـــــواة

ويســـــحَرها ليأســـــرَها احتيـــــالاً ... ويطـــــرحُ مـــــا تيســـــر مـــــن نِكـــــات

ويمـــــلأ دربهـــــا ورداً وعطـــــراً ... وكـــــم عنـــــد المُتـــــيَّم مـــــن أداة!

ويصـــــحبُها إلـــــى وكْـــــر البغايـــــا ... لتســـــقط فـــــي الشـــــباك المُلقيـــــات

ويرمـــــي ســـــهمه ليصـــــيب حَمقـــــاً ... فيصـــــطاد الفريســـــة كالرمـــــاة

ويمْتعُهـــــا ، وتمْتعُـــــه تباعـــــاً ... ويختبئـــــان فـــــي لجـــــج الحيـــــاة

ويلتقيـــــان مهمـــــا قيـــــل: عيـــــبٌ ... ومهمـــــا ســـــيق مـــــن أزكـــــى العِظـــــات

ويقتســـــمان كأســـــاً مِـــــن غـــــرام ... مُعتقـــــة العذوبـــــة كـــــالفرات

ويختصـــــمان إن قيـــــل: انحطـــــاط! ... ويبتـــــدعان حُكمـــــاً كالقضـــــاة

وتنقلـــــبُ الحقـــــائقُ شـــــائعاتٍ ... ومَـــــن يُصـــــغي لتلـــــك الشـــــائعات؟!

وينقلـــــبُ الجُنـــــاة لأبريـــــاءٍ ... فواعجبـــــاً لتلبـــــيس الجُنـــــاة!

ويُصـــــبحُ مَـــــن تلطـــــخ بالمخـــــازي ... تقيـــــاً مِـــــن مغـــــاوير الأبـــــاة!

ومَـــــن خانـــــت حلـــــيلاً لـــــم يخنهـــــا ... ولـــــم يُنصـــــتْ لألحـــــان الوُشـــــاة

ولـــــم يجـــــرحْ مشـــــاعرَها بلفـــــظٍ ... ولـــــم يهجـــــرْ بشـــــئ مـــــن أذاة

ولـــــم يغـــــدر - معـــــاذ الله - يومـــــاً ... لأن الغـــــدرَ مَقبـــــرة الأبـــــاة

ولـــــم يَـــــنقضْ - معـــــاذ الله - عهـــــداً ... ونقـــــضُ العهـــــد مِـــــن أخـــــزى الصـــــفات

ولـــــم يَبخـــــلْ بعارفـــــةٍ عليهـــــا ... ولكـــــنْ ســـــاق أغلـــــى التضـــــحيات

ولـــــم يـــــؤثرْ عليهـــــا أي أنثـــــى ... ســـــوى أم تفـــــوق الأمهـــــات

ولـــــم يُهـــــدرْ كرامتهـــــا انتقامـــــاً ... فهـــذا الأمـــرُ مـــن طبـــع الطغـــاة

ولـــم يلعـــبْ بهـــا - فـــي الخلـــق - لعبـــاً ... لأن الجـــد مـــن أســـمى الســـمات

ولـــم يضـــربْ ، ولـــم يشـــتمْ بتاتـــاً ... فمـــا هـــذا الحليـــل مـــن العُـــتاة

إلـــى أن ســـافحتْ ، وهـــوتْ خـــديناً ... وأمســـت مـــن شـــرار الصـــاحبات

فـــلا تقـــوى ، ولا خلـــقٌ كـــريمٌ ... يُزينّهـــا ، كبـــاقي المؤمنـــات

لفظـــتُ ودادهـــا ، وبـــلا تـــرِوٍ ... فقـــد خابـــتْ جميـــع توقعـــاتي

وفـــاض الـــدمعُ - مـــن عينـــي - سُـــيولاً ... وهاجـــت - بـــالأنين - توجعـــاتي

وبـــات القلـــب يجتـــرّ البلايـــا ... ويســـبحُ فـــي خِضـــمّ العائـــدات

وفـــي أحوالهـــا أعملـــتُ فكـــري ... وفـــي حـــالي أطلـــتُ تـــأملاتي

وقلـــتُ: لمـــن أبـــوحُ بمُـــرِّ سِـــري؟ ... ومَـــن فـــي النـــاس تؤلمـــه شـــكاتي؟

ومَـــن ســـيُجفف الـــدمع احتســـاباً ... وينصـــح بالوصـــايا الطيبـــات؟

ومَـــن ســـيخفف الآلام عنـــي ... ويحملنـــي علـــى مـــتن الثبـــات؟

ومَـــن ســـيردّ – لـــي - أرج اعتبـــاري ... ومَـــن ســـيعيدُ - لـــي - شـــرفي وذاتـــي

ومَـــن ســـيريحُ - مِـــن كَـــدر - ضـــميري ... ويُوصـــلني إلـــى حبـــل النجـــاة

لقـــد طفـــحَ المصـــابُ ســـنا طمـــوحي ... وأســـلمني لأعتـــى المُعضـــلات

وجرّعنـــي الـــبلاءُ بـــدون ذنـــب ... وأســـكنني جحـــيمَ الحادثـــات

وألجمنـــي ، فلـــم أنطـــقْ بحـــرفٍ ... فلـــذتُ - مِـــن البليّـــة - بالســـكات

وكنـــتُ أرى الحليلـــة فـــي الثريـــا ... وكنـــتُ أعـــدّها فـــي الخيّـــرات

وأحســـبُها علـــى رشـــدٍ وخيـــر ... ومِـــن أهـــل التعبّـــد والصـــلاة

وكنـــتُ أظنهـــا أســـمى الولايـــا ... ترفـــرفُ فـــي ســـماء الفضـــليات

وكانـــتْ عُـــدتي لغـــدٍ بَهـــيج ... ومَـــن تعطـــي عطـــاء العابـــدات

فخـــاب الظـــن حتـــى كـــدتُ أهـــذي ... وأغـــرقُ فـــي لهيـــب تحسّـــراتي

فمـــا كانـــت ســـوى عـــار كـــواني ... وتريـــاق يقـــود إلـــى الممـــات

وماجنـــةٍ سُـــقيتُ بهـــا الرزايـــا ... وعاشـــقةٍ مـــن أشـــقى العاشـــقات

أقـــول لهـــا: كفـــى - واللهِ - غِشـــاً ... وتـــدجيلاً ، فـــإن الخطـــبَ عـــات

مُقامُـــكِ - تحـــت ســـقفي - مســـتحيلٌ ... وبُعـــدُكِ مـــن أجـــلّ الأمنيـــات

ألا فلترحلـــي عنـــي مليّـــا ... فـــلا ألقـــاكِ فـــي أي الجهـــات

ولا تتأســـفي عـــن عشـــق نـــذل ... فـــإن مصـــيره بـــاللهِ آت

فِعالـــكِ مـــا علمـــتُ فِعـــال سُـــوءٍ ... فســـيحي - فـــي الهـــوى - كالداعـــرات

ونســـبتنا إليـــك تجُـــرّ سُـــوءًا ... وتجعلنـــا وقـــوداً للشِـــمات

أبيعـــكِ بالـــدراهم ، لا أبـــالي ... لغـــاو مـــن رعاديـــد الغـــواة

فـــدينارٌ - مِـــن الرعنـــاء - أغلـــى! ... وعَيشُـــك قـــد توشّـــح بـــالفوات

هنيئـــاً للمتـــيّم عشـــقُ حَمقـــا! ... وســـوف تبـــاعُ بيـــعَ الأضـــحيات

كمـــا باعـــت حلـــيلاً ، لـــم يُقصِّـــر ... وباعـــت طفلهـــا بعـــد البنـــات

وباعـــت أســـرة كانـــت مَـــلاذاً ... وكهفـــاً مِـــن نكـــال المُهلكـــات

فســـوف تبيـــعُ مَـــن كـــان اشـــتراها ... وهـــذا سَـــمتُ كـــل الهـــازلات

غريبـــاً ســـوف يُصـــبحُ ذات يـــوم ... لينفـــذ أمـــرُ ربّ الكائنـــات!

توبة بين السماء والأرض

(ذهب إلى تايلاند باحثاً عن اللذة التي اعتادها لسنوات كل صيف. وفي رحلة عودته كان أحد الدعاة الصالحين على نفس الطائرة قد ذهب للعلاج هناك. وأخذ يعظ الركاب موعظة بليغة لمّا وجد حديث أغلبهم عن مغامرات الفاحشة التي قاموا بها ، وضرب لهم المثل بنفسه ، فقال: اقترضتُ ثمن التذاكر والتداوي. وعدتُ مَديناً مُعافىً ولله الحمد. وأنتم أعطاكمُ الله المال لتستعينوا به على معصيته. عاهدوا الله بين السماء والأرض وتوبوا إليه. وتلا عليهم قول الله: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور). فتأثر بكلامه أحدهم. بينما راح الباقون اللاهون يسخرون من الداعي ويشوشون عليه. وراح يبكي وينتحب وتاب وأناب. وتحت عنوان: (الأضلاع الستة) يقول الدكتور سلمان بن فهد العودة ما نصه: (تأملت المعصية فوجدتها إنما كانت حراماً وحُوباً ؛ لأنها نقطة سوداء محاطة بستة ألوان من الخطر ، لا يكاد يسلم صاحبها من أحدها ، وربما أصابته جميعاً. * أولها: المرض ، وحسب تقرير لبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز 24-11-2009م ، أن 25 مليون شخص قضوا بفيروس الإيدز في العالم وأن 60 مليوناً أصيبوا به منذ ظهوره. وربما كان سبب المرض مقارفة واحدة لساعة أو بعض ساعة أو لعشر دقائق ، لم يجد صاحبها فيها ما كان يتخيّله من المتعة والسرور ، ويتذكر أنه كره رائحة صاحبته ، أو استقذر سنها ، أو مقت بعض خَلْقها. * ثانيها الفضيحة ، وهي قد تكون بالمرض الذي ينبني عن علاقة محرمة مكتملة ، وقد تكون بتوثيق الحادثة ؛ تصويراً أو إشهاراً واستفاضة ، يتسامع بها الناس ، وقد تكون بظهور الآثار من السُّكْر أو غيره. * ثالثها: الإدمان ، وقد يبدأ الأمر باستطلاع أو استكشاف أو تجربة أو رغبة غامضة ، ثم يتكرر بسبب الاستسهال ويتطور من فعل سهل إلى ما هو أبعد منه ، وما كان تحصل به اللذة أمس قد لا تحصل به اليوم ، فيحتاجُ إلى تركيز ومضاعفة واستجماع وسائل المتعة الحرام! * رابعها: الفقر ، إذ المبتلى بمعصية تغلغلتْ في عروقه وتمكنت من سويدائه ؛ مستعد لبذل الغالي والنفيس في سبيل تحصيلها ، وهو لا يفرح بالمال لينفقه في وجوه الخير ، ولا ليوسع به على عِياله ، ولا ليستثمر ، بل ليحصل به على المزيد من لذته وشهوته ، وهو لا يحسب للمال حساباً قلّ أو كثر ، لا غروَ سيشتري قرصاً بدرهم أو مائة أو ألف ، فالسمّ المتلمظ في عروقه يلح عليه ويلازمه ويطالبه مطالبة الغريم الذي لا يمل ولا يفتر. وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ». رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. * خامسها: عذاب الضمير ، وهو التأنيب والتقريع ، أخللت بحق نفسك ووضعتها في غير موضعها ، أفسدت نظام الأسرة وسننت لها سنة سيئة ، اغتيال براءة الأطفال لم يكن خياراً حسناً ، الإخلال بحقوق الآخرين ، امرأة ورطتها ، علاقة شرعية أفسدتها ، مال حرام استحللته ، طفل يدلف إلى الحياة عبر المجهول لا يعرف أباه ، كنت سبباً في نشر السوء والفاحشة وتسهيل أمرها وإشاعتها عذابات متواصلة ، وآلام متزايدة ، وهموم وغموم ، وخواطر سيئة ، فالضحية الزوجة والأطفال والمحيطون بك ممن يصطلون بنار الغضب السريع والتهجم غير المسوغ ، والصراخ المفضي إلى الكراهية ، والإحساس بمقت الحياة حين تكون إلى جوارك. هل يستطيع العاصي أن يملك نفساً هادئة وأعصاباً لينة ، وقدرة على التعايش مع المحيطين دون توتر أو قلق؟ لا أظن! إلا أن يكون ممن لا يعرف معنى "المعصية" ممن لم يتصل بعلمه تحريم ، ولم تقرع أذنه النصوص المخوفة والوعيد المجلجل. وفي البخاري يقول

ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ». فَقَالَ بِهِ هَكَذَا قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ.
* سادسها: عذاب الآخرة ، وأعظمه الحجاب عن الرب ، والحِرمان من مرضاته ، ومن رؤية وجهه ، ومن سماع كلامه والأنس بقربه ، وهو أعظم النعيم وأساسه: (وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). والوعيد وإن كان لأصحاب السيئات الكبرى المتعلقة بالكفر والجحود ، فإن لأصحاب المعاصي العظام نصيباً منه إن لم يتجاوز الله عنهم ، أو يوفقهم للتوبة. وما يبدو على الوجوه من الكآبة وسفعات الغضب وملامح الضيق لدى العصاة هو مؤشر على ما وراءه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهنًا في البدن وضيقاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق". على أننا نقرر دوماً أن ليس كل معاناة نفسية سببها المعصية ، فقد يبتلى المرء باكتئاب أو وسواس أو اضطراب أو قلق ، وهي أمراض شأنها شأن أمراض الجسد).هـ. وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ("ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخز ، وفي رواية: (يستحلون الحر والحرير ، وليشربن ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يأتيهم آتٍ لحاجة ، فيقولون: ارجع إلينا غداً فيخسف الله بهم الأرض ، ويمسخ منهم آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة". وعن ميمونة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم ولد الزنا ، فإذا فشا فيهم ولد الزنا ، فيوشك أن يعمّهم الله - عز وجل - بعقاب". وعن بُريدة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("حُرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيقال: يا فلان ، هذا فلان قد خانك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت! ثم التفت إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما ظنكم؟ ، ترون يدع له من حسناته شيئاً؟". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي ينهشه أسود من أساود يوم القيامة". وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مَضوْا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا شباب قريش ، احفظوا فروجكم ، لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة" وفي رواية: "من سلم له شبابه". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر". وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما ظهر الربا والزنا

في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله - عز وجل -". إن المسارعة إلى التوبة سمت العبد المسلم المؤمن الموحد! فليس يستمر في معاصيه ومخالفاته أبد الدهر! نعم يتورط في المعصية ثم يتوب ويستغفر فيتوب الله عليه! فتخيلتُ ذلك الشاب التائب يقول لنا:)

لاهثـــاً جئـــتُ أشـــتهي الانســـجاما ... باحثـــاً - عـــن لـــيلايَ - بـــين الأيـــامى

فـــي بـــلادٍ تبيـــع حُســـن الصـــبايا ... لضـــيوفٍ يَســـتعذبون الحرامـــا

للمعاصـــي والفســـق شـــدّوا رحـــالاً ... أنهكـــتْهم ، واســـتغرقتْ أيامـــاً

واستســـاغوا الآثـــامَ ، هانـــت علـــيهم ... كيـــف يهنـــا مَـــن يعشـــقُ الآثامـــا؟!

واســـتحلوا عمـــداً فـــروج الزوانـــي ... واســـتباحوا - بعـــدَ النســـاء - المُـــداما

بـــاذلين الأمـــوالَ فيمـــا يُدسّـــي ... هـــاجرين الإيمـــانَ والإســـلاما

مُشْـــهرين ســـيفَ المُجـــون ابتـــذالاً ... مُعلنـــين الإفســـادَ والإجرامـــا

أقنعـــوني حتـــى اتخـــذتُ قـــراري ... واتبعـــتُ الســـبيل والأقوامـــا

ثـــم مـــرّتْ سِـــني عمـــريَ تتـــرى ... والضـــميرُ لـــم يُـــدركِ الأعوامـــا

صـــرفتني اللـــذاتُ عـــن أمـــر ربـــي ... والفـــؤادُ فيمـــا تلهيـــتُ هامـــا

أسَـــرتْني - عـــن ذِكـــر ربـــي - الخطايـــا ... والرفـــاقُ كـــم أمطرونـــي سِـــهاما!

فانحـــدرتُ - نحـــو الـــدنايا - اختيـــاراً ... واعتيـــادُ الـــذنوب عنـــدي تنـــامى

فاحترفـــتُ الفحشـــاءَ سَـــمتا وهـــدياً ... وابتنيـــتُ الســـرابَ والأوهامـــا

كنـــتُ أنـــوي إشـــباعَ نفســـي انحطاطـــاً ... ثـــم ذِعـــتُ الأســـرارَ والأحلامـــا

غيـــرَ أنـــي التقيـــتُ مَـــن هـــز قلبـــي ... وهـــداني حتـــى التزمـــتُ التزامـــا

وذرفـــتُ الـــدمعَ الغزيـــرَ احتســـاباً ... وطرحـــتُ الســـوآى وأشـــقى النـــدامى

إن هـــذا المَتـــابَ أحـــرى بعبـــدٍ ... بعـــد أيـــام ســـوف يلقـــى الحِمامـــا

تـــوبتي عـــن فعـــل المعاصـــي نصُـــوحٌ ... ولهـــا قلبـــي استســـلمَ استســـلاما

فقاقيعٌ بين الغموض والبيان

(حاول ذلك المتشاعر الكاذب أو المستشعر أن يُثبت لصاحبنا أنه شاعر بكل سبيل. فطلب منه صاحبنا أن يثبت أنه شاعر وّلكن بإنشاد شيء من شعره يُمكن الحكم عليه من خلاله. فأنشد مجموعة من الأبيات المكسورة عروضياً ، والمبعثرة المعاني ، والمتشتتة الأفكار. فلا فكرة هنالك ولا مضمون ، ولا وزن ولا قافية ، وإن كان هنالك شيء من البيان والرمزية الغامضة المُوغلة في حُبّ العبث والعزيف واللا شعر واللا شعور. يُضاف إلى هذا كله الأداء السيئ ، فرحت أنشد من شعري أصف هذه الفقاقيع ، وأتخيل الشعر مخلوقاً ضاق بها! إن السرقات يمكن أن يأتيها أصحابها في المتاع الدنيوي أو البيتي! فكم سمعنا بسرقة بيوت وعقارات وجواهر وحلي وفلوس! لكن سرقة المشاعر والأحاسيس والعواطف والأشعار تعتبر دليلاً قاطعاً على أن أصحابها لا يملكون شيئاً من المشاعر أو الأحاسيس أو العواطف أو الخواطر! والحقيقة أن المفلسين المعاصرين لما عجزوا عن الإتيان بمثل الشعر العربي الأصيل بوزنه وقافيته ووحدته ومضمونه وموضوعه وقالبه ، عمدوا إلى كتابة ما يسمونه بالقصيدة النثرية! ولا يصح في بداهة المنطق أن نطلق عليها اسم قصيدة لأنها ليست بقصيدة ابتداءً! إن هذا الانهزام أمام الحداثة يجعلنا نضع شعر العرب في قفص الاتهام! والأصل أن يوضع من حادوا عنه اليوم وعابوه وانتقصوه وخالفوا عن منهجه في قفص الاتهام! لقد سارت أمة العرب على منوال شعرها العربي الأصيل قروناً متعاقبة ، من عصر امرئ القيس ، مروراً بصدر الإسلام ، وتبعت ذلك قرون وقرون دون أن تفكر الأمة في تغيير شعرها شكلاً ولا موضوعاً! فلقد كان من ثوابتها التراثية والحضارية! فمن أراد أن يصوغ شعراً فليلتزم وزنه وقافيته وموضوعه ووحدته! وإذن فللنثر خصائصه وشروطه وكُتابه ، كما للشعر خصائصه وشروطه وشعراؤه! تحت عنوان: (اكتواء يدي بشعلة قصيدة النثر) تقول الشاعرة والكاتبة السعودية فوزية أبو خالد ما نصه بتصرف: (سؤال الشعر وأحواله ، يستحق التأمل وإعادة التفكير في منتج الإبداع الشعري على مر العصور ، وفي مختلف البيئات الاجتماعية والسياسية والعمرانية ، بما فيها اللحظة التاريخية الراهنة المدججة بالتراجع السياسي والفكري في عموم الوطن العربي. فبقدر ما يعدّ الشعر ثابتًا مطلقًا من ثوابت الحياة الإنسانية ومن عمران الضمير البشري ، بقدر ما تكون أشكاله ومَضامينه في حال دائمة من التحولات المستمرة التي ما إن ترسي على حال يثري وجدان البشر إلا وتتحول بالتماس مع مشاعر الناس وتفاعلاتها المتقلبة إلى حال جديدة. فعلى سبيل المثال في الحال العربية التي جعلت من الشعر ديوان العرب ظل الشعر في تقدمه على الحِقب المُتعاقبة من التاريخ الاجتماعي والسياسي العربي قادرًا على إعطاء صورة متموجة عن أحوال مختلف المراحل التاريخية. فكما كانت المُعلقات رمزًا لعزة العرب السياسية في تعالقها مع المقدس الديني ، ومع الجاه التجاري ، ومع العنفوان البدوي والضراوة الصحراوية ، فقد كان الشعر في كل عصور الانكسار إكسيرًا للاستنهاض. وكان هذا لا يجري عبر القوالب الشعرية ومحتوياتها السابقة ، بل عبر تجاوزها عروضيًّا ومعنى. حدث هذا في مراحل مفصلية عدة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية إبان دول الخلافة الأموية والعباسية وعلى إثرهما وسواهما من دول الخلافة ببلاد الشام والعراق ومصر والأندلس وإسطنبول. وقد اجترح الشعر العربي من منتصف القرن العشرين إلى مطلع القرن الحادي والعشرين واحدة من أهم التحولات المفصلية في بنية القصيدة العربية شكلًا ومضمونًا ، بالخروج عن المستتب العروضي الفراهيدي والغرضي أو

الغائي من الرثاء إلى الغزل وما بينهما من مديح وهجاء. أما من الربع الأخير للقرن الفارط إلى اليوم فقد بلغ الشعر العربي ذروة ذلك التمرد بالانفلات من الوزن العمودي والتفعيلي معًا على مستوى الشكل ، والانسلاخ عن المضامين الشمولية للشعر العربي على مستوى المحتوى ، بالتحول إلى قصيدة النثر المتحررة من كل قوالب موسيقى الشعر المتعارف عليها قبلها في الشكل ، وبالانحياز إلى شاعرية اليومي والعادي في المضمون. وبالمجاوزة بينهما أي (بين التمردين) في قصيدة الومضة الشعرية إن صح التعبير. أما ما ينقض السؤال ويتماس معه في الوقت نفسه بما يشبه تلاقي الأضداد ، فهو أن هذا النوع من الشعر أي شعر قصيدة النثر هو نوع شعري ، رغم منجزه الإبداعي الشاهق لعدد من الأصوات المعتقة والشابة في الوطن العربي ، لا يزال نوعًا عصيًّا على أن يصل مرحلة نستطيع أن نقول معها إنه بلغ مرحلة الاستقرار كما يطرح السؤال. ويرجع ذلك في رأيي إلى أن قصيدة النثر هي نوع من الشعر التجريبي بطبيعته بحيث لا يكف عن البحث ولا يتعب لحفر واستكشاف منابع ومصاب جديدة لشكل ومضمون القصيدة وللدهشة الشعرية. ولهذه الطبيعة المخالفة التي بقدر ما تنعم فيها قصيدة النثر برعب القلق ونشوة الانقضاض التجريبي على نفسها بقدر ما تعيش لذة وعذابات ذنب عدم التزامها بشيمة الوفاء لما سبقها من منجز شعري لها ولسواها ، يصعب الحديث عن بلوغ هذا النوع من الشعر مرحلة الاستقرار. ومن اكتواء يدي اليومي بشعلة الشعر لقصيدة النثر أزعم أنها قصيدة لا تستطيع أن تعيش خارج ماء اسمه التجريب ، موجة تمحو موجة وتؤلف بحورًا من الأمواج المتجددة. وهذا ما يجعل ، في رأيي الشخصي على الأقل ، قصيدة النثر نبعًا من ينابيع الضوء التي على تضوعها الشفيف وسهولة انكسارها لا تتورع عن منازلة الظلام المطبق الذي يكاد يخيم على المنطقة العربية عن بكرة أبيها. هذا ليس تقديسًا للقصيدة من عوادم السياسة وعدمية الحروب ، لكنها شعلة الشعر التي ليس لنا أن نكف عن سرقتها ، وليس للأكف أن تكف عن تخاطف قبسها ، ليس لترميم الخراب لكن للخروج عليه ، بما فيه الخروج على غربة الشعر اليوم ، وعلى ذلك النوع من الشعر الرديء الذي هو وجه آخر للخراب الذي لا يمكن مقاومته إلا بإبداع شعري جديد. لا أظن أن الشعر اليوم ، مع هذه الثورة العارمة في أوعية الثقافة ، وأدوات الإنتاج مقابل هذا التداعي السياسي عربيًّا ودوليًّا ، إلا تحدٍّ لخلق حال جديدة من التحولات الشعرية التي لم تعهدها الحواس من قبل. وأنا لا أحفل كثيرًا بموضوع الجوائز في الشعر ولا قليلًا ، لا بمعناها العيني ، ولا الرمزي ؛ لذلك لا أستطيع الإجابة عن السؤال عن أثر غياب الجوائز. أما عزوف النقد عن تناول الإصدارات الشعرية الجديدة ، فهذا حقًّا سؤال مقلق ، لكن ليس شعريًّا بقدر ما هو مقلق في تعبيره عن تماوت أو موت الحس النقدي. والخطير في مثل هذا الموات أن الحس النقدي هو شرط لازب من شروط الحرية والإبداع والمقاومة. فأي أزمة حقيقية يكشفها هذا العزوف النقدي وإن كان للمسألة أوجه أخرى قد لا تكون بالضرورة تعبيرًا عن نوع من حال استسلام عام. ومن ذلك أن النقد الأدبي عندنا ارتبط بالإطار الأكاديمي بما في ذلك الإطار من تضييق على الحريات. كما أن لانحسار المطلات الورقية حيث لعبة الملاحق الأدبية ، وبخاصة في التجربة السعودية ، دورًا في التواصل بين ثلاثي الأديب والناقد والقراء قد يكون من أسباب فراغ هذه الأوعية من ذلك الجدل النقدي الفوار الذي شهدته الساحة المحلية في مراحل تاريخية سابقة. وأيضًا قد يكون لجدة الأوعية الإلكترونية واتساع نطاقاتها دور في تشتت المنافذ النقدية وخلق حال من الارتباك لدى أجسادنا ولدى العقل النقدي المعتاد الذي لم يجرب هذه السقوف العالية من حرية النقد من قبل. ولهذا فما زلت أعتقد ، كما سبق وكتبت في مواقع أخرى ، أن تحدينا اليوم أن المدى المفتوح أمامنا أوسع من مدّات الأجنحة في دربتها

وخبراتها السابقة ، وعلينا عمل شاق وطويل لاكتساب خبرات ودربة الحرية التي تتيحها ثورة الفضاء والاتصالات. فمن المُخجل أن نبقى في مدى لا حدود له بتلك الأيدي القصيرة والأجنحة القليلة نفسها. ولربما كما أن كثرة الطيران تقوي الأجنحة ، فاتساع فضاء التعبير يعلمنا الحرية).هـ. ولعل الأستاذة فوزية أبو خالد قد أبدأت القول وأعادته بشأن قصيدة النثر المزعومة! وكانت قد خلصت إلى أن الداعي إلى صياغة القصيدة النثرية هو فراغ الأوعية والإفلاس الفكري! وأنا أشاركها الرأي ، وأرى أنه لا ينبغي إفساح المجال لهؤلاء المفاليس الأدعياء أن يستمروا طويلاً في كتابة قصيدة النثر تلك! فإما أن يتعلموا العروض والوزن والقافية ويصوغوا ما يكتبون صياغة شعرية صحيحة ، وإما أن يتركوا ساحة الشعر فلن تخسر كثيراً إذا هم فارقوها! وأذكر أن أحدهم جاءني ذات يوم بأجندات ثلاث ، كان قد ملأها جميعاً بالعبارات النثرية المسجوعة زاعماً أنها شعر كما أوهمه أصحابه الذين قرأ عليهم ما كتب! وجاء الدور عليَّ ليسألني: هل هذه قصائد جميلة؟ هل هذا شعر؟ وهل أنا أحسنت الكتابة والتصوير والصياغة وانتقاء الألفاظ والتعبيرات المناسبة؟ وكاد أن يُصعق عندما أجبته بالنفي وقلت له: ليس هذا بالشعر! ويوم أن تزعم لنفسك أن الذي كتبته في أجنداتك الثلاث شعراً فاعلم أن الفرق بين الذي كتبت والشعر يزيد عن الفرق الذي هو بين السماء والأرض! فسألني مقاطعاً: وهل أنت تملك نصوصاً صغتها بيمينك شعراً؟ فقلت: نعم! فقال: أسمعني منها! فلما أسمعته بعض ما أنعم الله عليَّ من الشعر وأطلق لساني به من البيان ذهل الرجل وكاد أن يسقط في يده! وأعجب بالأشعار قد التزمت الوزن والقافية وتحددت لها أفكار وموضوعات أريد إيصالها للقراء! فقال: وما الذي ينقص نصوصي لتكون شعراً؟ فقلتُ له: صُبها في قوالب الشعر تصبح شعراً! فقال أفعل إن شاء الله تعالى. فقلت له: هل عندك إلمام بعلمي العروض والقافية؟ فقال لا. فقلت له: هناك قاعدة فقهية أصيلة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب! وما دمت لا تعرف العروض والقافية فلتتعلمهما أولاً! فقال لي: أتعلمهما على يديك! قلت: اتفقنا! وواظب الرجل بحرين أو ثلاثة ، ثم تقاعس وانتكس ووقف في أول الطريق وقال: الطريق طويلٌ وشاق ولا سبيل يسير يؤدي إلى البشارة بإتمامهما! فاتجه الرجل إلى تحويل ما حوتْ أجنداتُه الثلاثُ شعراً! فكانت والله عملية شاقة أشق من صياغة ما حوتا شعراً بدون تحويل بل تكون الكتابة للمرة الأولى! وعموماً سارق الأشعار أو منتحلها أو الكاتب المغالط الذي يكتب ما يسمى بالقصيدة النثرية لا يهلكون ولا يخدعون إلا أنفسهم! وهم كلهم راحلون وتبقى أعمالهم المسروقة والمنحولة والمغلوطة للتاريخ وللناس! وعمد الرجل إلى قصيدة النثر أو الشعر الحداثي ليداري عواره وليبرر فشله! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (عليَّ إذن إنْ أَمِلتُ بشعر حديث ، بكل ما تعنيه الحداثة من حرية وانفتاح ومشاركة في الشعور ، أن أوضِّح خصائص هذا الشعر من خلال الشاعر ؛ ولا أكون بذلك ناقداً للشاعر نفسه ، لكنني لا أكون أيضاً قد وقعت في مطبِّ فصل الشاعر عن شعره. إن كان عليَّ أن أكون صادقاً فيما أشعر به وأعقلُه من منطلق محبتي للإنسان ، فعليَّ إذن إنهاء شعوري ذاك – وبكل الصدق – إلى الآخرين ، فأتمِّم بذلك واجبي. لكنني قبل أن أميِّز بعض النقاط الهامة حول الشعر والشاعر ، أريد التأكيد على نقطة أساسية ، ألا وهي أنني لا أضع ميزاناً للشعر ولا أحدِّد له سبلاً معيَّنة. إن ما يهمني هو الشعر المنطلق من الشاعر ، أي من الإنسان الذي يُفصِح عن شعوره ؛ وليس لي أن أهتم بغير ذلك من "الشعر". ولهذا أركِّز فيما يلي كل اهتمامي على علاقة الشاعر بشعره. إن أهمَّ ما يميِّز التجربة الشعرية – الشعورية - هو النظرة الشاملة والمتكاملة للواقع من منطلق شخصي ، يحافظ على حرية الفرد وعلى خصوصيته في التجربة والرؤيا ، لكنْ ضمن منظور جماعي يحافظ على القدرة على السمو ، بالنفس وبالمجتمع ، فوق سراب التعدُّدية ، لتحقيق المعنى والدور الإنسانيين في الوجود. وإني لأتساءل: ماذا يعني أن "نكتب" الشعر ونحن غافلون عن هذه

النقطة؟ أليس أن كلَّ انجراف في تيار ما يُعَدُّ تقليصاً للإمكانية التعبيرية الشعرية ، إن لم نقل إشراطاً لحرية التجربة الخاصة وإمعاناً في الاعتماد على تحليل الظروف الخارجية – عقلياً فقط – دون إفساح المجال لأية مبادرة ذاتية في الانفتاح على الآخرين وبَلْوَرَة الفعل المتبادل معهم – الفعل الذي وحده، في شموله، يتيح للحرية الداخلية أن تشعر فتُبدِع! من المؤكد أنني لا أطالب – وذلك ليس من حقي – بعدم اعتناق العقائد والمذاهب والأفكار. إنما أردت التلميح إلى نقطة نغفل عنها غالباً ، ألا وهي أنه لا يجوز ، بأيِّ حال من الأحوال ، الخلط بين الحرية الفكرية – وهي ليست إلا شكلاً بسيطاً للاشتقاق الذاتي الخاص ، أي لإسقاط الطرق التعبيرية الذاتية للمنطق الفردي على بوتقات فكرية مختلفة ، بل متناقضة أحياناً – وبين الحرية التعبيرية للداخل ، وهي حرية فنِّية إبداعية قبل كل شيء. على ذلك، يمكنني الاستنتاج بأن الشاعر قد يعتنق مبادئ معينة ، لكنه لا يقيِّد نفسه بها ، لأن عقل الشاعر حرٌّ من دوَّامة الفكر نفسها ، قبل أن يكون حراً من التقيُّد بمنهج أو من التعصُّب لعقيدة. إنني لا أدعو بالنتيجة إلى رأي خاص ، ولا أطالب – كما يمكن أن يعتقد بعضهم – بمثالية غريبة ، لكنني أجزم أن الشعر ليس وسيلة للتعبير عن الفكر فحسب – عن الفكر المحدود المقيَّد خصوصاً – ولا عن العواطف والانفعالات والنزوات ، ولا حتى عن الآلام المكبوتة أو عن ثورات النفس الجامحة الهائجة التي لا تعرف مطلبها ولا تعي كيف يمكن لها أن تحصل عليه. فالحرية الشعرية حريةٌ شعورية ، أي امتدادٌ للشاعر في المعنى العميق للفكرة التي يريد طرحها ، واتِّحادٌ شعوري داخلي مع الموضوع الذي يتناوله ، أو فلنقل ، يشعر بالحاجة إلى الإفصاح عنه. عندما يكون الشعر إفصاحاً عن الشعور الداخلي المتَّقد والمتفتِّح فينا يصبحُ قادراً على التعبير عن عواطفنا وأفكارنا التي تخلو عندئذٍ من التشويش والانفعال).هـ. وإذن فالشعر في حقيقته شعورٌ منضبط بقواعد وأسس وأخلاقيات وقناعات وثقافات! وما لم يكن كذلك فليس شعراً!)

بكـــل مَـــرارةٍ ضـــجّ القـــريضُ ... وجافـــاه التمســـكُ والنهـــوضُ

يُســـائل مَـــن تشـــاعر دون وعـــي ... وعربـــدَ فـــي مشـــاعره الغمـــوض

وباشـــرَ غيـــر صـــنعته ، فـــأودى ... بمـــا يشـــدو بـــه الفكـــرُ المـــريض

وزاحـــم عـــالم الشـــعَرا يُغَنـــي ... كـــأن الغـــرَّ فـــي النـــاس (الغـــريض)!

هـــراءاتٌ لهـــا صـــفة التـــدني ... فهـــل أمســـى الهـــراءُ هـــو القـــريض؟

فقـــاقيعٌ يســـربلها انطمـــاسٌ ... فهـــل شـــعر ولـــيس بـــه عـــروض؟

ديـــاجيرٌ تناولـــت التخفـــي ... تُـــرى هـــل يَقشـــع الظَلّمـــا وَمِـــيض؟

ويحســـب أنـــه بلـــغ الثريـــا ... ومركبُـــه لهـــا الشـــعرُ البغـــيض؟

ويـــزعم أنـــه صـــقرٌ تســـامى ... فهـــل يســـمو إلـــى الصـــقر البعـــوض؟

فأقصـــرْ يـــا دعـــيّ ، وكـــن لبيبـــاً ... ومـــا تُزجيـــه مـــن شـــعرٍ مَهـــيض

وإن الشـــعر علـــمٌ وانفعـــالٌ ... لـــه سُـــننٌ تُـــدعّمها الفـــروض

الأندلس بين المجد والفقد

(إن الحديث عن الأندلس حديث ذو شجون وذو شؤون. ولا يمكن أن نتناول نمط الحياة الأندلسية الفكرية بصفة عامة ، والشعر منها بصفة خاصة. وذلك باعتبار أن الشعر يعكس ما في المجتمع من أطوار وأغيار. فالشعر لسان حال المجتمع ، وخطيبه المُصلِق الذي يدفع بسيف الكلمة غواشي الإبهام عن أحوال المجتمع وأهله. ألا وإن الذي يطالع بموضوعية تاريخ الأندلس ، ويقلب صفحات ماضيها ، يدرك أن الخاصية المميزة لتاريخ الأندلس ، هي أنه كان عصر غزو وفتح ، وعلم وتدوين ، وتأهيل فكري ومناظرات ، وأطروحات ثقافية وثورات معرفية. وذلك بعد قيام إمارة قرطبة وسيطرة المسلمين عليها ، ولا يعني هذا بالضرورة إهمال المشاركات الفكرية والشعرية التي ساهم بها المسلمون في إثراء تلك النهضة الثقافية. فإنه عندما استقر حكم الأندلس للمسلمين أفاق المسلمون للعلم والتدوين. فلقد كانت حروب المسلمين الجهادية الطويلة لنصرة دينهم:- "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله". ونشأت بعد ذلك حركة فكرية ثقافية لغوية وشعرية واسعة النطاق ، واكبت الحركة الجهادية التي أسلفنا الحديث عنها. وانفتح المسلمون في اكتساب العلم والفكر ، واستقطِبت العلماء والأدباء والمفكرين والكتاب والشعراء ، في شتى المماليك الإسلامية لإثراء تلك النهضة في الأندلس ، واستثمار تلك الصحوة الفكرية والثورة الشعرية. فلقد رحل أبو علي القالي صاحب الأمالي في بغداد بالعراق إلى الأندلس ، عندما دعاه إليها الخليفة عبد الرحمن الناصر - رحمه الله – فنفع الله بأبي علي القالي – رحمه الله - أهل الأندلس. فلقد علم وناظر وروى من مختارات الأدب والشعر ما الله به عليم. وكذلك فعل أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي اللغوي التحريري ، وجمع كتابه الشهير (الفصوص) الذي يضارع كتاب (الأمالي) للقالي. وكان ثمرة لهذين اللغوين الكبيرين (أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، حيث بات على عرش الأدب والشعر ملكاً عبقرياً ، وأظهر كتابه (العقد الفريد). كما رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق لتحصيل علوم أهل المشرق ، ومن هؤلاء الرحالة (يحيي بن يحيي الليثي) بحثا عن العلم والأدب ، كما رحل ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد). وكذلك دأب أهل الأندلس على إنشاء المكتبات وجمع الكتب وحث الناس على القراءة والبحث العلمي ، والاطلاع على كتب الأوائل ودراسة مذاهبهم ، والوقوف على ما تحتوي الكتب من كنوز وثروات تتضاءل عندها كنوز الدنيا. ولقد سجل عبد الرحمن الناصر رقماً قياسياً (بلغة عصرنا) في جمع الكتب والمخطوطات النادرة القيمة. فلقد كان يبعث برسله إلى مصر والشام والعراق والحجاز والقسطنطينية وغيرها بحثاً عن المخطوطات. ودرج ابنه على ما عاش عليه أبوه ، حيث إنه عندما تولى مقاليد الحكم في البلاد بعد موت أبيه ، كانت له مكتبة ضخمة جداً ، حشد لها الكتبة والحُذاق في الخط والتدوين والضبط والتجليد ، مما جعلها مكتبة في غاية الإبداع مظهراً وجوهراً. مما يدل على اهتمامه بالكتب. وأروع ما يذكر عن الخلفاء والأمراء والحكام في ذلك الزمان ، أنهم كانوا جميعاً على درجة كبيرة جداً من الوعي والعلم والثقافة والمعرفة والأدب والشعر. فكانوا بذلك فرساناً مغاوير في حلبة التنظير الفكري والأدبي والعلمي. والتاريخ حوى الكثير والكثير من شعرهم وأدبهم وعلمهم ومنا قبهم ، ويضيق المقال الآن عن الوقوف على شيء من ذلك ولو يسير! وكما يقولون: (دوام الحال من المحال). وما لبثت هذه الأحوال تستمر ردحاً من الزمان ، حتى انقلبت ظهراً على عقب ، فلقد فرط المسلمون وقصروا في أمور دينهم ودنياهم حتى ضعفوا. فلما كان ذلك منهم ، تكمن الأعداء وغلبوا. فضاعت منهم الأندلس ، تلك

المملكة الحصينة المنيعة. وبعد أن كان ذلك منهم ، فإذا هم يتغنون بها ويمتدحون أوضاعها وجمالها وقدرتها ، وينشدون في طبيعتها الخلابة الرائعة ، ويُقصدون القصائد الطويلة في سحر الأندلس وجوها وأنهارها وأحوال أهلها ، وباتوا ينشدون في ضيعتها ويبكون عن أطلالها ، ويرثون أهلها وطبيعتها التي شوهها من نسبوا إلى الله الولد من الغزاة الغاضبين. ونسجوا بالدموع العانية أروع القصائد في ضياع الأندلس. وبكوا في قصائدهم بالدماء والدموع تلك الديار المسلوبة (الأندلس). وشيعوا الفقيدة الغالية إلى مثواها الأخير ، بعد ضعف أهلها وتخاذلهم عن نصرتها ، وهي تئن تحت مطارق الصليب والتلمود. ورثا شعراء الأندلس ديارهمُ العزيزة التي غصبها الأعداءُ الصليبيون ، وأخرجوا أهل الأندلس منها مشردين في أنحاء الأرض. وعكست قصائد الشعراء هزل الملوك وجد الأعداء. وذرفوا الدموع وهم يرون ديارهم تؤكل قطعة قطعة. فتنتهك حرمتها ويذل سادتها وتزهق أرواح أهلها وتسبى نساؤها ويتيم أطفالها وتذهب ريحها دون مبرر على الإطلاق ، وبلا جريرة اجترحها أهل الأندلس الأبرياء. ورثوا المدن والممالك التي أصبحت خاوية على عروشها إلا من الصليبيين وذيولهم وعملائهم. وبدل أن ترفع المساجد قول (لا إله إلا الله) أعلنت الأديرة (أن المسيح ابن الله). وبات فناً من فنون الشعر العربي في الأندلس (رثاء الممالك والديار والمدن). وبات فناً من فنون الشعر الأندلسي يميزه عن غيره. وقد أورد صاحب (نفح الطيب) من الأشعار في هذا الفن الشيء الكثير. والذي سوف نورد بعضه. وتطلعتْ همم الشعراء وقرائحهم إلى طريق للخلاص! أو رجل تجتمع عليه الرجال وتتوحد على يديه الغايات ، ويكون الفتح الجديد المبين مواكباً لصرخته كما كانت أول مرة. وفي ذلك يقول أحد شعراء الأندلس لم أعثر على اسم يوثق نسبة الشعر إليه:

ألا رجـــــل لـــــه رأي أصـــــيلُ بـــــه ممـــــا نحـــــاذر نســـــتجيرُ؟

ويطعـــن بالقنـــا الخطـــار حتـــى يقـــول الـــرمح: مـــن هـــذا الخبيـــر؟

وتفاوتت درجات الإجادة لشعر الرثاء الأندلسي ، ما بين القوي الجيد والضعيف المبتذل والذي كان عواناً بين ذلك فتوسط بين الإجادة والابتذال. وعلى قدر المأساة التي تعتلج في صدور الشعراء كانت صور الرثاء ودموع القريض ودماء الإيحاءات. وغلبَ عنصرُ العاطفة والإحساس بالمعاناة والألم على كل المراثي الأندلسية ، واعتمدت الصور الفنية في شعورهم بصورة بالغة على التشبيهات والاستعارات والكنايات ، وذلك لإبراز المعاني والعمل على تشخيصها وتجسيمها في صورة حسية ملموسة يسهل معها إدراك المعنى المراد تصوره ، ولو على شيء من حقيقته. ثم جاء دور الاستفهام البلاغي العام والخاص ، والذي كان يخرج عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية ، لا تخفي على أصحاب الصنعة وحذاق الشعر ، كالتعجب والإنكار والتمني والتطلع إلى الأمل الحاني والبسمة المشرقة. شأنهم في ذلك شأن كل منكوب مقهور حزين. ومن هنا اختلطت مشاعر الأسى بدموع القريض ، وفجرت معاناة الأندلس براكين شعر الرثاء ، فتمخض عن إحساس بالمعاناة لا يجد كاتب في الأرض اليوم من الكلمات ما يستطيع به أن يعبر عن هذه المعاناة وذلك الإحساس. لقد كان الطابع الطاغي على رثاء الشعراء الأندلسيين لممالكهم هو الحزن الموغل في أعماق النفس الإنسانية ، والأسى الضارب بجذوره في غياهب العاطفة ومجاهيل الشعور. وكذلك طغى على شعرهم وعظ الآخرين

وإنذارهم ، في التهام العبرة وأخذ الدرس ، من القيام المفاجئ للدول والممالك التي جاهدت في سبيل الله ، وأقامت في الأرض أمر الله وشرعه ، ونصَّبت من ذوات أنفس أهلها ـ حكاماً ومحكومين ـ حراساً لعقيدة التوحيد وشريعة الإسلام في الأرض ، فدعت إلى الله وفتحت البلاد وقلوب العباد للدين الحق ، وجاهدت في سبيل الله ، فكانت الصولة والجولة والدولة. وذلك بما ضحت وبذلت. وكان الشرع عندها مصحفاً وسيفاً ، عبادة وقيادة ، ديناً ودولة ، شعيرة وشريعة. فمكّن الله لها ولأهلها. ثم عندما بدلت وتقهقرت عن نصرة الدين ، وتخاذلت هنالك وتخلت ونفضت أيديها من الحق ، فما جاهدت وما ضحت وما بذلت. فزالت دولتها وانفض سلطانها ، وضاع مجدها وسؤددها ، وتقوضت أركانها ، وأعملت سيوف الصليبيين عملها في قلوب الأندلسيين. ومن هنا تعين على كل مطالع لشعر رثاء الممالك والمدن الأندلسية عبر التاريخ أن يعتبر ويستوعب الدرس. لقد برع شعراء رثاء المماليك والمدن والديار الأندلسية في تصوير نكبة الإسلام المُرة ومصيبة المسلمين القاصمة في الأندلس ، وما تعرض له المسلمون والإسلام من هوان وذل وصغار. كما نجحوا في تصوير التعلق بالديار وفراق أهلها. كما أنشدوا في رثاء المماليك والديار المغصوبة المنكوبة واستنهاض همم المسلمين في شتى بقاع الأرض للعمل على تأديب الأعداء الغاصبين وإعادة الأرض إلى أهلها والقوس إلى باريها والحق إلى نصابه. كما أنشدوا في الذود عن الإسلام وأهله والدفاع عن أعراض انتهكت ظلماً وعدواناً ، وديار استبيحت قهراً وغصباً. ولم أقرأ في حياتي قصيدة رائعة في رثاء الممالك والديار كالتي صاغها الشاعر الأندلسي العظيم ـ أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، وقد آلى الشاعر على نفسه أن يتحدث على لسان كل أندلسي ، أجلاه الصليب عن داره واستباح حرمته وانتهك عرضه ، ظلماً وعدواناً في الأرض بغير الحق. تلك القصيدة النونية التي تعبر عن ثورة المشاعر الجياشة ، واندفاعية العواطف الثائرة ، وانتفاضة الأحاسيس الهائجة التي عصرها الأسى وأدماها الكرب وألجأها الصغار إلى واد الحزن ، فأعياها الجوى عن التعبير عما تعانيه وتعيشه. فأتى كل لفظ موشحاً بالحزن ، مضخمّاً بالأسى ، معجوناً بالعذاب ، محاطاً بهالات من الأنين والنحيب والنشيج. وذلك تفجعاً على الإسلام والمسلمين. إن نونية أبي البقاء الرندي لهي من عيون الشعر العربي الرثائي ، ولو كتبها شاعر غربي صليبي أو مُلحد لوجدنا لها اليوم صدىً يبلغ الآفاق ويملأ الدنيا ويغزو الأسماع ويطير إلى السماء. وإن قصائد لم تصل عشر معشار النونية الرندية التي نحن بصددها الآن أخذت من الاهتمام والبيان ما لم تأخذه النونية الرندية. إن هذه النونية لو كانت أيام المعلقات لعلقتْ على أستار الكعبة ، وطالعها الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، ولكان شاعرها من أصحاب المعلقات بلا شك ولأعجزت الفصحاء والبلغاء في زمانها ، بل ولتحدت من هم من غير أهل زمانها كذلك. وذلك لما اشتملت عليه من الجمال وحسن السبك وعذوبة الأداء وصدق الألفاظ وينوعة التراكيب وحساسية الصور الفنية والبلاغية. صاغها أبو البقاء على القافية النونية وعلى البحر البسيط الذي هو من أروع بحور العروض العربية الأصيلة ، وأصدقها مناسبة للرثاء وما يصاحبه من الدموع والأنين والشكوى والنحيب والأسى والجوى. والآن لنطالع ما يتيسر من هذه النونية الرندية الرثائية بشكل من النقد والتحليل ، في محاولة منا للتعرف على شعر رثاء الممالك والديار ، والوقوف على بعض سماته وخصائصه ومميزاته. وأجعلها بكل فخر في مستهل التقديم لقصيدتنا: (الأندلس بين المجد والفقد) ، يقول أبو البقاء الرندي في مرثيته البكائية: ـ

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقصـــانُ فـــلا يُغـــر ـ بطيـــب العـــيش ـ إنســـانُ

هـــي الأمـــور كمـــا شـــاهدتها دولٌ ... مـــن ســـره زمـــن ، ســـاءته أزمـــان

وهـــذه الـــدار لا تبقِـــي علـــى أحـــدٍ ... ولا يـــدوم - علـــى حـــال - لهـــا شـــأن

وصـــار مـــا كـــان مـــن مُلـــكٍ ومـــن مَلـــكٍ ... كمـــا حكـــى عـــن خيـــال الطيـــف وســـنان

فجـــائع الـــدهر أنـــواع منوعـــة ... وللزمـــان مســـراتٌ وأحـــزان

وللحـــوادث ســـلوانٌ يُســـهلها ... ومـــا لمَـــا حـــلّ بالإســـلام سُـــلون

وبهذا المطلع الحزين يستهل أبو البقاء قصيدته البكائية. معطياً العبرة وشارحاً الدرس وملهماً العظة وسائقاً المثل. وكما نرى استهل المرثية بمطلع لا تغفله الحكمة. رابطا ما قد حل بدياره بحال الدنيا. وأنه كما رحل أهله عن ديارهم فإن أهل الدنيا يوما سيتركونها ويرحلون إلى الدار الآخرة. ومبيناً أن حياتنا الدنيا أقيمت على المسرات والأحزان ولا دوام لشيء فيها أبداً. ثم يردف أبو البقاء بعد هذه المقدمة الوعظية قصة قصيدته ومناسبتها قائلاً: -

دهـــى الجزيـــرة أمـــرٌ لا عـــزاء لـــه ... هـــوى لـــه أحُـــدٌ ، وانهـــدّ ثهـــلان

أصـــابها العـــين فـــي الإســـلام فـــارتزأتْ ... حتـــى خلـــت منـــه أقطـــار وبُلـــدان

فاســـأل بلنســـية: مـــا شـــأن مرســـية؟ ... وأيـــن شـــاطبة؟ أم أيـــن جيّـــان؟

وأيـــن قرطبـــة ، دار العلـــوم ، فكـــم ... مـــن عـــالم قـــد ســـما فيهـــا لـــه شـــأن؟

وأيـــن حمـــص ومـــا تحويـــه مـــن نـــزهٍ ... ونهرهـــا العـــذب فيـــاضٌ ومـــلآن؟

قواعـــدٌ كـــن أركـــان الـــبلاد ، فمـــا ... عســـى البقـــاء إذا لـــم تبـــق أركـــان؟

تبكـــي الحنيفيـــة البيضـــاء مـــن أســـف ... كمـــا بكـــى لفـــراق الإلـــف هيمـــان

علـــى ديـــار مـــن الإســـلام خاليـــةٍ ... قـــد أقفـــرتْ ، ولهـــا بـــالكفر عمـــران

حيـــث المســـاجد قـــد صـــارت كنـــائس مـــا ... فـــيهن إلا نـــواقيسٌ وصـــلبان

حتـــى المحاريـــب تبكـــي ، وهْـــي جامـــدة ... حتـــى المنـــابر ترثـــي ، وهْـــي عيـــدان

يـــا غـــافلاً ، ولـــه فـــي الـــدهر موعظـــة ... إن كنـــت فـــي سِـــنة ، فالـــدهر يقظـــان

وماشـــياً مَرحـــاً ، يُلهيـــه موطنـــه ... أبعـــد حمـــص تغـــر المـــرءَ أوطـــان؟

تلـــك المصـــيبة أنســـت مـــا تقـــدمها ومـــا لهـــا مـــع طـــول الـــدهر نســـيان

وكأن هذه الأبيات قد خرجت مخرج المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية ، فهي تصور بقايا الديار الأندلسية ، بعد نكبة الصليبيين - عليهم من الله ما يستحقون -. والشاعر هنا يبين لنا ما أصاب فؤاده من أحداث نزلت بدياره ، فأحزنت منه القلب والشعور والوجدان ، وأفجعت منه الخاطر والعاطفة والإحساس. وإن هذه المجموعة من الأبيات في البكاء على ما أصاب من الديار ، والوقوف على أطلالها ، لتبين لنا سمات شعر رثاء الممالك والديار مجتمعة كما صدرنا بها الحديث في مستهل قراءاتنا الأسلوبية هذه. ثم ينطلق أبو البقاء مستنهضاً همم المسلمين ، وصارخاً مستغيثاً بالله تعالى ، وثم مستحثاً لشجاعة المسلمين ومصابهم ثانياً. ويلغز أبو البقاء متهكماً ومستثيراً تقاعس المسلمين وتخاذلهم وخنوعهم عن نصرة إخوانهم واستنقاذ ديارهم من الصليبيين فيقرعهم ويوبخهم. ويعلو صوته مذكراً إياهم بحقوق الأخوة وواجبات الإيمان قائلاً: -

يـــا راكبـــين عنـــاق الخيـــل ضـــامرة كأنهـــا فـــي مجـــال الســـبق عُقبـــانُ

وحـــاملين ســـيوف الهنـــد مرهفـــة كأنهـــا فـــي ظـــلام النقـــع نيـــران

وراتعـــين وراء البحـــر فـــي دَعـــةٍ لهـــم بأوطـــانهم عـــز وســـلطان

أعنـــدكم نبـــأ مـــن أهـــل أنـــدلس فقـــد ســـرى بحـــديث القـــوم رُكبـــان؟

كـــم يســـتغيث بنـــا المستضـــعفون وهـــم قتلـــى وأســـرى ، فمـــا يهتـــز إنســـان!

مـــاذا التقـــاطع فـــي الإســـلام بيـــنكمُ وأنـــتمُ يـــا عبـــاد الله إخـــوان؟

وإذا كان قد ورد في قول أبي البقاء لفظ (يستغيث بنا المستضعفون) ، فإنه يعني الاستغاثة بالمخلوق فيما له به طاقة من جهاد الكفار والأعداء ، واستنقاذ الديار وتحرير الأسرى والانتصار لله ورسوله وشريعة الإسلام. وإذن فلم يقصد أبدا تلك الاستغاثة الشركية بالمخلوق ، كما قد يتوهمه الذين لا يفهمون الشعر إلا على هواهم. وأبو البقاء أديب مسلم مؤمن موحد على كل حال. وقد كان له باع في العلم الشرعي ، والأخذ من ذلك العلم بحظ وافر. ثم يختم الرندي قصيدته النونية تلك بخاتمة تستجيش ما في كل نفس مسلمة على وجه الأرض من بقية نجدة ومروءة وإباء واستشعار لما يلاقيه أهل الأندلس. وذلك بعد أن أثار حفيظة التقوى في سويداء القلوب والضمائر والمشاعر في الأبيات السابقة ، واصفاً الذل - الذي آل إليه قومه بعد عز ومنعة - التشريد بعد الاستقرار ، والهوان والصغار بعد الإباء والتمكين ، والعبودية لغير الله بعد السيادة في عبادة الله. نعم ، فلقد عانى القوم معاناة لا أظن التاريخ والدهر شاهَدا مثلها

- اللهم إلا في عهد قارون وفرعون وهامان – فأخذ الرندي يصور المأساة والملهاة في أسلوب رثائي بديع فيقول:

ألا نفـــوس أبيَّـــات لهـــا همـــمٌ؟ أمَـــا علـــى الخيـــر أنصـــار وأعـــوان؟

يـــا مـــن لذلـــة قـــوم بعـــد عـــزهمُ؟ أحـــال حـــالهم كفـــرٌ وطغيـــان!

بـــالأمس كـــانوا ملوكـــاً فـــي منـــازلهم واليـــوم هـــم فـــي بـــلاد الكفـــر عُبـــدان

فلـــو تـــراهم حيـــارى لا دليـــل لهـــم علـــيهمُ - مـــن ثيـــاب الـــذل - ألـــوان

ولـــو رأيـــتَ بُكـــاهم عنـــد بيعـــتهم لهالـــكَ الأمـــرُ ، واســـتهوتك أحـــزان

يـــا رُب أم وطفـــل حِيـــل بينهمـــا كمـــا تفـــرّق أرواحٌ وأبـــدان

وطفلـــةٍ مثـــل حســـن الشـــمس إذ طلعـــتْ كأنمـــا هـــيَ يـــاقوت ومَرجـــان

يقودهـــا العلـــجُ للمكـــروه مُكرهـــة والعـــينُ باكيـــة ، والقلـــبُ حيـــران

لمثـــل هـــذا يـــذوب القلـــب مـــن كمـــدٍ إن كـــان فـــي القلـــب إســـلامٌ وإيمـــان

ولأبي البقاء حق في كل الذي قال: فلقد كان للمسلمين الحنفاء أمجاد لا تعد ولا تحصى في الأندلس وإنجازات تعجز الكلمات عن وصفها. نعم ، اهتم المسلمون بالأندلس اهتماماً كبيراً بحيث جعلوا منها منارة لا تخبو أبداً وقلعة حصينة ، تحصنت بالرجال والعتاد كما تحصنت بالعلم والفقه والأدب والدين والثقافة والوعي. ورسّخ المسلمون جميع جوانب الحياة العمرانية في الأندلس على كل صعيد. سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الأدبي أو العلمي أو الشرعي. وإن كل بقعة من بقاع الأندلس ناطقة بكل هذا. ثم تداعى البناءُ الشامخ الراسخ الرازم بالتفكك والانحلال والضعف. فدب في أوصاله الفناء والزوال. وصدق الله إذ يقول: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) ، وصدق إذ يقول: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) ، وصدق إذ يقول: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون). وإذن فهي سُنن ربانية لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. ثمانية قرون عظيمة عاشها المسلمون في ديار الأندلس رافعين راية الحضارة (والإسلام هو الحضارة) ، وانعكست حضارة الإسلام على جيرانهم الأوربيين النصارى). ثم ذهب المجد وتلاشت الكرامة وانتحر السؤدد ودب الدمار (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). يرثى الوزير أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة ، يرثى بني عباد ومملكتهم التي اغتصبها الصليبيون فيقول:-

تبكـــي الســـماء بـــدمع رائـــح غـــادِ علـــى البهاليـــل مـــن أبنـــاء عَبَّـــادِ

على الجبال التي هُدتْ قواعدها ... وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

يا ضيف أقفر بيت المكرمات ، فخذ ... في ضم رَحلك ، واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمّل واديَهم ليسكنه ... خفَّ القطينُ ، وجف الزرع بالوادي

نسيت إلا غداة النهر كونهمُ ... في المنشآت كأمواتٍ بألحاد

حط القناع ، فلم تستر مخدرة ... ومزقتْ أوجهٌ تمزيق أبراد

تفرقوا جيرة من بعد ما نشأوا ... أهلا بأهل ، وأولادا بأولاد

حان الوداع ، فضجّت كل صارخةٍ ... وصارخ من مغداة ، ومن فادي

سارت سفائنهم ، والنوح يتبعها ... كأنها إبلٌ ، يحدو بها الحادي

كم سال في الماء من دمع وكم حملت ... تلك القطائعُ من قطعان أكباد!

من لي بكم يا بني ماء السماء إذا ... ماءُ السماء أبى سُقيا جوى الصادي؟!

وهنا تبرز معاني الحزن والأسى على بنى عَباد. وأبو بكر محمد بن عيسى ليس يختلف كثيراً عن غيره من الشعراء الذين رثوا الممالك والديار الأندلسية. بل إنه يحاكيهم في إبراز ذات السمات من البكاء على المجد. فإن عبدون - في رثاء قتلى بن الأفطس أصحاب بطليموس ، وهذه في غاية الحبك وإبراز سمات شعر رثاء الممالك أكثر- يقول:-

الدهر يفجع - بعد العين - بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور؟

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة ... فما صناعة عينيها سوى السهر؟

تسر بالشيء ، لكن لا تغر به ... كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر

والدهر حربٌ ، وإن أبدى مسالمة ... والسود والبيض مثل البيض والسمُر

وإذا كنتُ أنسى فلا أنسى شاعر الأندلس ابن خفاجة ، وهو يرثي مدينة بلنسية التي سقطتْ في أيدي الأعداء سنة 488هـ ، وذلك بعد حصار دام أكثر من عشرين شهراً ، يقول في سقوطها:

عاثت بساحتكِ العدى يا دارُ ... ومحا محاسنك البلى والنارُ

فذا تردد في جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفـــت الخطـــوب بأهلهـــا وتمخضـــــتْ بخرابهـــــا الأقـــــدار

كتبـــتْ يـــدُ الحـــدثان فـــي عَرَصـــاتها لا أنـــــت أنـــــت ، ولا الـــــديار ديـــــار

ثم ما لبث المسلمون في عهد المرابطين أن استردوا بلنسية. لكن غلب النصارى وكانت لهم الكرّة فاستولوا عليها مرة ثانية عام 636هـ ، وذلك في زمن الموحدين. ولنطالع ما صاغه الشاعر الأندلسي الفذ أبو المطرّف بن عمير المخزومي وهو يرثي بَلنسية ويبكيها: -

أمـــن بعـــد رُزءٍ فـــي بَلنســـيةٍ ثـــوى بأحنائهـــا كالنـــار مُضـــرمة الوقـــدِ؟

يرجـــى أنـــاس جنـــة مـــن مصـــائب تطـــاعن فـــيهم بالمثقفـــة المُلـــد؟

ألا ليـت شـعري هـل لهـا مـن مطـالع تعـاد إلـى مـا كـان فيهـا مـن السـعد؟

وهـــل أذنـــب الأبنـــاءُ ذنـــب أبـــيهمُ فصـــاروا إلـــى الإخـــراج مـــن جنـــة الخلـــد؟

ولقد ذكر صاحب (نفح الطيب) أن من أول ما استرده النصارى من مدينة الأندلس (طليطلة). وذلك أن النصارى استولوا عليها بقيادة (الأذفونش) ، وذلك عام 478هـ. وكانت مصيبة عنيفة ابتلى بها المسلمون في الأندلس آنذاك. ويورد أحمد بن محمد المقري التلمساني صاحب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) آنذاك. ويورد قصيدة لشاعر مجهول (لم يسمه) في رثاء طليطلة جاوزت السبعين بيتاً على البحر الوافر تقول:

لثكلـــكِ كيـــف تبتســـم الثغـــورُ ســـروراً بعـــد مـــا انـــدحرت ثغـــور؟

أمـــا وأبـــى مصـــاب هـــد منـــه تبيـــر الـــدين ، فاتصـــل الثبـــور

لقـــد قصِـــمتْ ظهـــور حـــين قـــالوا: أميـــر الكـــافرين لـــه ظهـــور

تـــرى فـــي الـــدهر مســـروراً بعـــيش مضـــى عنـــه لطيبتـــه الســـرور

ألـــيس بنـــا أبـــيّ الـــنفس شـــهمٌ يـــدير - علـــى الـــدوائر - إذ تـــدور

لقـــد خضـــعتْ رقـــابٌ كـــن غلبـــاً وزال عتوهـــا ، ومضـــى النفـــور

وهـــان علـــى عزيـــز القـــوم ذلٌ وســـامح فـــي الحـــريم فتـــىً غيـــور

بهذا المطلع الحزين استهل الشاعر قصيدته مبيناً أن جرح طليطلة (المدينة الغراء المنكوبة) هو جرحه. وأن ألمها هو ألمه. ثم يوجه إليه الخطاب في ألم وجوى متحدثاً عن نكبتها القاصمة فيقول:

طليطلـــة أبـــاح الكفـــر منهـــا حِماهـــا ، إن ذا نبـــأ كبيـــر

فلـــــيس مثالهـــــا إيـــــوانُ كســـــرى ولا منهـــــا الخـــــوارقُ والســـــدير

محصـــــــنة محســـــــنة بَعيـــــــد تناولهـــــــا ، ومطلبهـــــــا عســـــــير

ثم يعود الشاعر إلى ماضي المدينة ، مذكراً أنها كانت معقل الإسلام الحصين وداراً يأوي إليها المسلمون من كل صوب وحدب في عز وكبرياء ومنعة وعلو كلمة. والمنعة والظهور والشوكة والصولة والجولة والدولة كانت فيها للإسلام وأهله بإطلاق ولم تظهر فيها خصلة واحدة كفرية إلا بجوار من أهل الإسلام ، كما هو التعريف الاصطلاحي لدار الإسلام. فإذا بها تصبح على العكس تماماً (دار كفر) أي دار نصرانية ترتفع فيها راية التثليث الوثنية ، وتهيمن عليها شريعة الصليب ، ويغتصبها سدنة الكفار الباطشين الغاصبين. وأصبحت المساجد التي تعلن أن (لا إله إلا الله) كنائس تعلن (أن الله ثالث ثلاثة) ، وتشرّد المسلمون! واستقر النصارى بها وصاروا أصحاب أملاك. فيقول الشاعر ذاته:-

ألـــم تـــكُ معقـــلاً للـــدين صـــعباً فزلزلـــه - كمـــا شـــاء – القـــدير؟

وأخـــرج أهلهـــا منهـــا جميعـــاً فصـــاروا حيـــث شـــاء بهـــم مصـــير

وكانـــت (دار إيمـــان) وعلـــم معالمهـــا التـــي طمســـت تنيـــر

فعـــادت (دار كفـــر) مصـــطفاة قـــد اضـــطربت بأهليهـــا الأمـــور

مســـاجدها كنـــائس ، أي قلـــب علـــى هـــذا يَقـــر ولا يطيـــر؟!

وإنه لشيء لطيف من الشاعر أن يبين أسباب ما يبكي عليه وله. حيث إن كثيراً من الشعراء لا يفعلون هذا لا في القديم ولا في الحديث. الدنيا من حول الواحد منهم تشتعل ناراً ، وإذا بالشاعر عديم القلب والضمير يُحدّث عن ليلى والغرام والهيام والكأس والسيجارة. ولم يكن من هذا الطراز المستشعر. بل قال أسباب الضياع في صدق ، وبيَّن دواعي التردي والسقوط في وضوح. ألا إنها أسباب سقوط أي أمة في أي زمان ومكان ، إن أسباب سقوط طليطلة كما ذكر الشاعر كانت: فساد الحكم وانتشار الموبقات ، وظلم الناس ومصادرة الحريات والحقوق ، والزنا والربا والغنا ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وذيوع الإباحية والانحلال، وإقبال الناس على كل شهوات الدنيا التي حرمها الله تعالى ، والمجاهرة بالمعاصي والفجور ، وتفرق الحُكام والأمراء والملوك والسلاطين وخوفهم من المستعمر الغازي الجائر. والغفلة والنفاق ، والارتزاق الرخيص من جانب كثير من الناس على حساب العقيدة. فيعمد الشاعر إلى إبراز شيء من ذلك بالتلميح والتصريح في صدق مقرّعاً وموبخاً فيقول: -

وكـــان بنـــا وبالقينـــات أولـــى لـــو انضـــمت علـــى الكـــل القبـــور

لقـــد ســـخنت بحـــالتهن عـــين وكيـــف يصـــحّ مغلـــوب قريـــر؟

فيـــا أســـفاهُ حزنـــاً واعـــتلاً تكـــرر مـــا تكـــررتِ الـــدهور

لـــئن غبنـــا عـــن الأحبـــاب إنـــا ... بـــــأحزان وأشـــــجان حُضـــــور

نـــــذور كـــــان للأيـــــام مـــــنهم ... بملكهـــــمُ فقـــــد وفـــــت النـــــذور

فإنـــــا مـــــثلهم ، وأشـــــد مـــــنهم ... نجـــور ، وكيـــف يســـلم مـــن يجـــور؟

أنـــــأمن أن يَحـــــل بنـــــا انتقـــــامٌ ... وفينـــــا الفســـــق أجمـــــعُ والفجـــــور؟

يـــزول الســـتر عـــن قـــوم إذا مـــا ... علـــى العصـــيان أرخيـــتِ الســـتور

وأكـــــلٌ للحـــــرام ، ولا اضـــــطرارٌ ... إليـــــه؟ فيســـــهل الأمـــــر العســـــير

خـــذوا ثـــأر الديانـــة ، وانصـــروها ... فقـــد حامـــت علـــى القتلـــى النســـور

وموتـــوا كلكـــم ، فـــالموتى أولـــى ... بكـــم مـــن أن تجـــاروا ، أو تجـــوروا

ثم يتوجه الشاعر بعد الحديث عن أسباب السقوط والتردي والضياع والهزيمة ، فيتحدث بلغة اللوم والتأنيب والزجر ، لينبه الغافلين ويستنهض نخوة وإباء أصحاب المروءة من أهل الإيمان فيقول:-

أصـــبراً بعـــد ســـبي وامتحـــان ... يـــلام عليهمـــا القلـــبُ الصـــبورُ؟

فـــأم الصـــبر مِـــذكارٌ ولـــود ... وأم الصـــقر مقِـــلاتٌ نـــزور

نخـــور إذ دُهينـــا بالرزايـــا ... ولـــيس بمعجـــب بقـــر يخـــور

ونجـــبُن لـــيس نـــزأر لـــو شـــجعنا ... ولـــو نجـــبن لكـــان لنـــا زئيـــر

لقـــد ســـاءت بنـــا الأخبـــار حتـــى ... أمـــات المخبـــرين بهـــا الخبيـــر

أتتنـــا الكتـــب فيهـــا كـــل شـــر ... وبشّـــرنا بأنحســـنا البشـــير

وقيـــل تجمعـــوا لفـــراق شـــمل ... طليطلـــة تملكهـــا الكفـــور

فقـــل فـــي خطـــة فيهـــا صـــغارٌ ... يشـــيب لكرههـــا الطفـــل الصـــغير

لقـــد صـــمَّ الســـميع ، فكـــم يعـــولُ ... علـــى نبـــأ كمـــا عمِـــيَ البصـــير

ثم يواجه الناس بالحقيقة المُرة ، أنه ليس أمامهم إلا الجهاد في سبيل الله. ذلك الذي سوف يُعيد لهم الصولة والجولة والدولة والعز والسؤدد والديار. وهذه سمة إيجابية تميز شعراء الممالك. حيث لو ظل الشاعر يسترسل بأبياته في الحزن والجوى والدموع ، لما كان لقصيدته من التأثير

على القارئ كما يكون لو تناول شيئاً من الحل أو الطريق إلى الخلاص. ولما كان الفرق بين قصيدته وولولة النساء عند المصاب فرقاً كبيرا! فيقول موجهاً وناصحاً ومرشداً:

كَفي حزناً بأن الناس قالوا: إلى أين التحوّل والمسيرُ؟

أنترك دورنا ، ونفر منها وليس لنا وراء البحر دُور؟

ولا ثمَّ الضِياع تروق حسناً نباكرها ، فيُعجبنا البكور

وظل وارفٌ ، وخريرُ ماءٍ فلا قر هناك ، ولا حَرور

ويُؤكل من فواكهها طري ويُشرب من جداولها نمير

يؤدي مغرمٌ في كل شهر وتؤخذ كل صائفة عشور

فهم أحمى لحوزتنا ، وأولى بنا ، وهمُ الموالي والعشير

لقد ذهب اليقين فلا يقينٌ وغر القومَ بالله الغرور

فلا دينٌ ولا دنيا ، ولكنْ غرورٌ بالمعيشة ، ما غرور

رضوا بالرق ، يا لله ماذا رآهُ ، وما أشار به مشير

مضى الإسلام ، فابكِ دماً عليهِ فما ينفي الجوى الدمع الغزير

ونح واندب رفاقاً في فلاةٍ حيارى ، لا تحط ولا تسير

ولا تجنحْ إلى سِلم وحرب عسى أن يُجبر العظمُ الكسير

أنعمى عن مراشدنا جميعاً وما إن منهمُ إلا بصير

ولو أنا ثبتنا كان خيراً ولكن ما لنا كرمٌ وخير

إذا ما لم يكن صبرٌ جميلا فليس بنافع عددٌ كثير!

وهكذا تبين من خلال المقطع السابق ظن الشاعر ، وهو يرثي مدينة طليطلة ، ونحن نستشهد بهذا الشاعر على أن شعر رثاء المدائن والممالك ، لم يكن يعمد إلى الاسترسال في وصف المعاناة فقط ، وحشد الألفاظ والصور والإيحاءات والتراكيب المجسدة للدموع والدماء والأشلاء والأحزان والآلام. بل كان الشاعر يعمد إلى استنهاض الهمم وتشخيص الداء والدواء معاً. شأنه في ذلك شأن كل شاعر جاد ، يدرك أن الشعر رسالة سامية. فنراه يرفض الاستسلام لعدوه والرضوخ الغاصبين ، ولا يقبل أبداً أن يسالمهم أو يوادعهم أو يصالحهم. إنهم غصبوا بلاده وانتهكوا الحرمات ، وحولوا مساجد دياره إلى كنائس ، فلا سبيل إلى السلام معهم ،

فنستمع إليه يقول: (ولا تجنح إلى سلم ، وحارب). وليت الأمة تستفيد من هذا الدرس! وذلك السلم لن يعيدها لمسلمي الأندلس السلام. ولكن إذا استولوا عليها بالسلاح والعتاد والرجال والحرب. يطغى على الشاعر شوقه إلى دياره المسلمة المؤمنة. إنه لا يحبها لأجل التراب والطين والوحل ، فإن كل أرض في الدنيا هي تراب وطين ووحل! ولكنه يحبها لأجل دينها الذي كانت تطبقه وتقيمه ، وتجاهد في سبيله ، ألا وهو (الإسلام). ويستنهض الشاعر همم الرجال في رجل مجاهد يجتمع حوله الرجال ، ويلتفوا من حواليه تحت راية واحدة ، وهي راية (لا إله إلا الله) فيقول الشاعر:-

ألا رجـــــل لـــــه رأي أصـــــيلُ ... بـــــه ممـــــا نحـــــاذر نســـــتجير؟

يكـــــرّ إذا الســـــيوف تناولتـــــه ... وأيـــــن بنـــــا إذا ولـــــت كـــــرور؟

ويطعـــــن بالقنـــــا الخطـــــار حتـــــى ... يقـــــول الـــــرمح مـــــن هـــــذا الخطيـــــر؟!

عظـــــيم أن يكـــــون النـــــاس طـــــراً ... بأنـــــدلس: قتيـــــلٌ ، أو أســـــير

أذكـــــر بـــــالقراع الليـــــث حرصـــــاً ... علـــــى أن يقـــــرع البـــــيضَ الـــــذكور

يبـــــادر خرقهـــــا قبـــــل اتســـــاع ... لخطـــــب منـــــه تنخســـــف البـــــدور

يوســـــع للـــــذي يلقـــــاه صـــــدراً ... فقـــــد ضـــــاقت بمـــــا تلقـــــى الصـــــدور

تنغصـــــتِ الحيـــــاة فـــــلا حيـــــاة ... وودع جيـــــــــرة ، إذ لا مجيـــــــــر

فليـــــل فيـــــه هـــــمٌ مســـــتكينٌ ... ويـــــومٌ فيـــــه شـــــر مســـــتطير

ونرجـــــو أن يتـــــيح الله نصـــــراً ... علـــــيهم ، إنـــــه نعـــــم النصـــــير!

وهكذا ختم الشاعر المجهول الذي لم يسمه صاحب (نفح الطيب) ، وهو يورد أبياته العظيمة الجليلة في مجلده السادس ص - 228 – 232 ، وإن كان ذلك الشاعر مجهولاً عند الناس ، فليس بمجهول عند الله تعالى. فأسأل الله أن يرحمه وأن يثيبه على تلك القصيدة العصماء التي جلت لنا معالم شعر الرثاء للمدائن والديار الأندلسية. إن أمراء الأندلس همُ الذين أودوا بها وبأهلها. بظلمهم وإشاعتهم الموبقات والدنايا وبالكبت للحريات والحقوق وبالهزيمة أمام النصارى ، أعنى أن الهزيمة النفسية التي كانت طريقاً فيما بعد للهزيمة العسكرية. ولقد نلمس شيئاً من ذلك عندما نطالع أبيات أربعة لشاعر أندلسي آخر هو محمد الفازازي ، الذي كان من عادته أن يكتب خواطره شعراً ومن هذه الخواطر تلك الأبيات الأربعة التي عثر عليها مغسلوه في جيبه بعد موته يقول:-

الـــــروم تضـــــرب بـــــالبلاد وتغـــــنمُ ... والجَـــــور يأخـــــذ مـــــا بقـــــيْ ، والمغـــــرمُ

والمـــــال يـــــورد كلـــــه (قشـــــتالة) ... والجنـــــد تســـــقط ، والرعيـــــة تظلـــــم

وذوو التعـــين لـــيس فـــيهم مســـلمٌ إلا معـــين فـــي الفســـاد مسَـــلم

أســـفي علـــى تلـــك الـــبلاد وأهلهـــا الله يلطـــف بـــالجميع ويـــرحم

ويورد صاحب نفع الطيب تعليقاً يدل على الذي أسلفناه عن هذه الأبيات الأربعة. وملخص هذا التعليق أن الأبيات الأربعة لما رفعت إلى سلطان بلده وقرأها بنفسه ، بكى وانتحب على الحال والأوضاع ، واستنكر في نفسه أن يجرؤ أحد الرعية على أن يكتب مثل هذا ، فقال كلمته التي تشخص الداء: (لو كان حياً ضربت عنقه!). وشاعر آخر هو (عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن الغسال) ، يعبر عن أنه لا فائدة ، بل الرحيل أولى وأكثر راحة ، ويؤثر الهجرة على مواجهة المحتل الغاصب. ويرى أن تكاليف الهجرة أقل من تكاليف المواجهة فيقول: -

يـــا أهـــل أنـــدلس ، شـــدوا رحـــالكمُ فمـــا المقـــامُ بهـــا إلا مـــن الغلـــطِ

مـــن جـــاور الشـــر لا يـــأمن عواقبـــهُ كيـــف الحيـــاة مـــع الحيـــاة فـــي ســـفط؟

الثـــوب ينســـل مـــن أطرافـــه وأرى ثـــوب الجزيـــرة منســـولاً مـــن الوســـط!

وشاعر آخر متشائم من المواجهة يؤثر الهروب ، آثر أن يستخدم ألفاظ لاعبي الشطرنج فيقول: -

يـــا أهـــل أنـــدلس ، ردوا المعـــار فمـــا فـــي العُـــرف عاريـــة إلا مـــرادات

ألـــم تـــروا بيـــدق الكفـــار فرزنـــة وشـــاهنا آخـــر الأبيـــات شـــهمات

وكثرت القصائد التي ترثي غرناطة وبلنسية وطليطلة جداً في دواوين شعراء الأندلس. وأورد منها جانباً كبيراً (صاحبُ نفح الطيب) ، حتى أن المرء ليذهل. ومن ذلك أيضا القصيدة السينية لأبي عبد الله الأبار القضاعي البلنسي وهو يبكي (بلنسية) ، تلك المدينة التي سقطت قبل أن يدركها أي جيش من جيوش المسلمين مما يدل على أنها كانت حلقة من حلقات المسلسل المدبر المتفق عليه بين صاحبها وغاضبها. فلقد أظهر حزنه في مستهل القصيدة على بلنسية وأثار العاطفة واستنكر تحويل المساجد إلى كنائس وتهديم مدارس القرآن والكتاتيب ، وتحويلها إلى زرائب للحيوانات والخيول فيقول على البحر البسيط :

أدركْ بخيلـــك خيـــل الله أندلســـا إن الســـبيل إلـــى منجاتهـــا درســـا

وهـــبْ لهـــا مـــن عزيـــز النصـــر مـــا التمســـت فلـــم يـــزل منـــك عـــز النصـــر ملتمســـا

وحـــاش ممـــا تعانيـــهِ حشاشـــتها فطالمـــا ذاقـــت البلـــوى صـــباح مســـا

يـــا للجزيـــرة أضـــحى أهلهـــا جـــزراً للحادثـــات وأمســـى جـــدها تعســـا

فـــي كـــل شـــارقةٍ إلمـــام بائقـــةٍ يعـــود مأتمهـــا عنـــد العِـــدا عرســـا

وكـــــل غاربـــــةٍ إجحـــــافُ نائبـــــةٍ تثنـــي الأمـــان حـــذاراً ، والســـرور أســـى

تقاســـم الـــرومُ لا نالـــت مقاســـمهم إلا عقائلهـــا المحجوبـــة الأنســـا

وفـــي بلنســـيةٍ منهـــا وقرطبـــةٍ مـــا ينســـف الـــنفس أو مـــا يتـــرف النفســـا

مـــدائنٌ حلهـــا الإشـــراكُ مبتســـماً جـــذلان ، وارتحـــل الإيمـــان مبتئســـا

وصـــيّرتها العـــوادي العابثـــاتُ بمـــا يســـتوحش الطـــرف منهـــا ضـــعف مـــا أنســـا

فمـــن دَســـاكرَ كانـــت دونهـــا حرســـاً ومـــن كَنـــائسَ كانـــت قبلهـــا كنســـا

يـــا للمســـاجد عـــادت للعِـــدا بيّعـــاً وللنـــداء غـــدا أثنائهـــا جرســـا

لهفـــي عليهـــا ، إلـــى اســـترجاع فائتهـــا مـــدارسٌ للمثـــاني أصـــبحت درســـا

وأربعـــاً نمنمـــت أيـــدي الربيـــع لهـــا مـــا شـــئت مـــن خلـــع موشـــية وكســـا

كانـــت حـــدائق للأحـــداق مونقـــة فصـــوّح النضـــر مـــن أدواحهـــا ، وعســـا

وحـــال مـــا حولهـــا مـــن منظـــر عجـــب يســـتجلس الركـــب ، أو يســـتركب الجلســـا

ســـرعان مـــا عـــاث جـــيش الكفـــر واحتربـــا عيـــث الـــذي فـــي مغانيهـــا التـــي كســـبا

وابتـــز بزتهـــا ممـــا تحيفهـــا تحيـــف الأسَـــد الضـــاري لمّـــا افترســـا

ويبكى الشاعر دماً ودموعاً على حال أمير بلنسية ، الذي شارك الأعداء النصارى في تسليم المدينة وإخلاء الميدان من جنود الإيمان وفرسان التوحيد ، التي إن رآها الصليبيون الوثنيون المجرمون لطاردوها فيها الآفاق واندحروا في الوهاد. لكن الأمير – حاسبه الله بما هو أهله - سلم المدينة وأخلى الميدان ، إلا من الصليبيين ، ونكس راية التوحيد ، ورفع راية المسيح ابن الله. يقول الشاعر:-

فـــأين عـــيشٌ جنينـــاهُ بهـــا خضِـــرا؟ وأيـــن عصـــرٌ جلينـــاه بهـــا سلســـا؟

محـــا محاســـنها طـــاغ أتـــيح لهـــا مـــا نـــام عـــن هضـــمها حينـــاً ، ولا نعســـا!

ورج أرجاءهـــا لمّـــا أحـــاط بهـــا فغـــادر الشـــم مـــن أعلامهـــا خنســـا

خـــلا لـــه الجـــو ، فامتـــدت يـــداه إلـــى إدراك مـــا لـــم تطـــأ رجـــلاه مختلســـا

وأكثـــر الـــزعم بالتثليـــث منفـــرداً ولـــو رأى رايـــة التوحيـــد مـــا نبســـا!

ثم يضفي ابن الأبار - رحمه الله - هالة من المدح على أمير أفريقيا ، حتى يستجيش ما في قلبه من خلق وتقوى لله ودين ، ليهب مستنقذاً المدينة من أيدي الأعداء فيقول:

صل حبلها أيها المولى الرحيم فما أبقى المراسي لها حبلاً ولا مرسا

وأحي ما طمست منها العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

أيام صرت لنصر الحق مستبقاً وبت من نور ذاك الهَدي مقتبسا

وقمت فيها بأمر الله منتصراً كالصارم اهتز ، أو كالعارض انبجسا

تمحو الذي كشف التجسيم عن ظلم والصبح ماحيه في أنواره الغلسا

هذي رسائلها تدعوك عن كثب وأنت أفضلُ مرجو لمن يئسا

وافتك جارية بالنجح راجية منك الأمير الرضا والسيد الندسا

ألا وإن بطل معركة (الزلاقة) الأمير الملك الشاعر الفارسي (محمد المُكَنى بأبي القاسم الملقب بالمعتمد على الله) - رحمه الله - مات في الأسر ، وبكاه الشعراء المسلمون فضلاً عن غيرهم بكاءً مريراً مراً ، وقد كتبت على قبره هذه الأبيات من البحر البسيط (تلك التي صاغها قبل أن يموت):

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي حقا ظفرتَ بأشلاء ابن عَبّادِ؟

بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا بالخصب إن أجدبوا بالري للصادي

نعم ، هو الحق وافاني به قدرٌ من السماء ووافاني لميعادي

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه أن الجبال تهادى فوق أطواد

فلا تزال صلاة الله دائمة على دفينك لا تحصى بتعداد

وهو هنا يرثى نفسه قبل أن يموت. والحقيقة لمن تأمل الأبيات أنه لم يبك نفسه فقط ، بقدر ما بكى دولة الإسلام وآلام المسلمين. وأيضاً من عيون الشعر العربي رائية أبي محمد ابن عبدون من البحر البسيط في رثاء الأندلس كلها ، تلك التي حشد لها صوراً كثيرة من ألوان البديع والحكمة والموعظة والعبرة. بكى على الأندلس حيث يقول -

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاءُ على الأشباح والصور؟

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث والظفر

فالـــدهر حـــربٌ ، وإن أبـــدى مســـالمة والبـــيض والســـمر مثـــل البـــيض والســـمر

وكنا قد أشرنا من قبل لرائية ابن عبدون. فأرى أنه لا داعي للإطالة والتكرار. نصل إلى خاتمة هذه المقدمة من شعر رثاء المدائن الأندلسية ، فنقول بأنه كان شعراً ذا سمات متعددة نذكرها في إيجاز:

1– كل الشعراء الأندلسيين الذين رثوا الممالك الضائعة ، عمدوا إلى الصور والمحسنات البديعية والإيحاءات والتراكيب الفنية التي تضفي على أسلوبية الشعر الوقار والإحساس بالحزن والجوى.

2– كان رثاء الديار والممالك أكثر من رثاء الأمراء والملوك الموحدين الذين قاموا بما يجب عليهم حيال الدين والعقيدة والرعية. ولم يكن موقفهم التفرج على المآسي تصيب ديارهم!

3- استنهاض الشعراء لهمم المسلمين ، واستصراخهم لنجدتهم في محاولة منهم لاستنقاذ المدائن والممالك والديار. وذلك بدافع الجهاد في سبيل الله ، لتحقيق الكرامة واستعادة الأرض ، ولكيلا تكون هناك فتنة أي (شرك بالله في الأرض) ويكون الدين (أي الشريعة التي تحكم الكل) كله لله. وليعش في دار الإسلام الكل! .
4– اللوم والعتاب والتأنيب لحالة الخنوع الأنثوي والرضوخ للأعداء الكفار تلك التي ابتلي بها المسلمون.

5 – ربط العاطفة الإنسانية العامة بتقوى الله والتذكير به – عز وجل - وبالآخرة وبالجنة وبالنار.

6 – واقعية الشاعر: فهو يصف الداء ويشخص الدواء مثل الرفيق (أي الطبيب في لغة القوم اليوم). وليس الشاعر يمثل الارتزاق الرخيص بالشعر. وليس يمثل الفصام النكد ، والتنصل من السمو برسالة الشعر السامية وتوظيفه خادماً للعقيدة والدين ، لكي يصير بهوى الشاعر ودنو همته منافحاً عن الباطل وجندياً للفجور والإفساد في الأرض.

7 – بيان الشوق إلى الديار والحنين إليها ، والبكاء على أطلالها ، وليس ذلك الحب ولا ذلك التعلق ولا ذلك الحنين من أجل الطين والأرض والوحل. فكل أرض في الوجود هي طين وتراب ووحل ، بل كان ذلك من الشعراء من أجل كون الأندلس جزءا من دار الإسلام ، تقيم الإسلام وتجاهد في سبيله وتنافح من أجله وتدعو إليه العالمين.

8 – الالتزام الصارم بأدب العقيدة عند الكتابة عن المحن والآلام ، فلا يُغلب الشاعر نزعته التشاؤمية ، فيسب الدهر بمعنى الأيام والقضاء والقدر ، ويلعن النصيب ، ويتسخط على ما أصابه. وأما ما كان من ابن عبدون في رائيته:

الـــدهر يفجـــع بعـــد العـــين بـــالأثر فمـــا البكـــاء علـــى الأشـــباح والصـــور؟!

وإلى قوله في ختام قصيدته العظيمة:-

فالـــدهر حـــربٌ ، وإن أبـــدى مســـالمة والبـــيض والســـمر مثـــل البـــيض والســـمر

فالشاعر هنا لا يسب الدهر بمعنى الزمان والأيام ، كما أنه لا يسب الدهر بمعنى القضاء والقدر. بل ما يحمل على ما عليه أهل الزمان من الحال الخانع الصاغر الذليل. وهذا جوّز فيه أهل العلم قديماً وحديثاً ، فيجوز أن نقول: هذا زمان قلّ خيره ، وكثر بلاؤه وشره ، عانين بذلك أهل الزمان لما درجوا عليه من معصية الله تعالى والمجاهرة بها! وعسى أن نكون قد وفقنا في رسم المعالم والسمات التي كان عليها شعر رثاء الممالك والديار الأندلسية في هذه القراءة الأسلوبية الخاطفة للتقديم لهذه القصيدة. ومن أراد المزيد فليُطالع المراجع وكتب التاريخ. وقد أمر الله بالإعداد والتخطيط والترتيب والعمل الجاد فقال تعالي: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). وقال: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}. وقال: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ). إن الله تعالي خلق الإنسان لمهمة عظيمة تتمثل في عبادته سبحانه وتعالي فقال تعالي: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). والعبادة في حقيقتها هي تحقيق مراد الله في تعمير الأرض وفق المنهج الرباني. ولذلك ربط الله الإيمان بالعمل في القرآن الكريم ، وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون ذكر العمل ، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}. (وأشهد الله ربي أنني قد أرسلت بمقدمة هذه القصيدة لعدد من المجلات العربية والعالمية رجاء أن ترى النور ، على هيئة بحث من بحوث المجلة على عددين من أعدادها ولكن دون جدوى. ذلك أن المجلات والدوريات والجرائد مشغولة ومعنية بالأسماء التي لها صيتها ووزنها. فعقب ذلك ضننتُ عليهم جميعاً بالقصيدة النونية الأندلسية هذي احتقاراً لمناهجهم المزدوجة المعايير. وأيضاً لئلا يكون بجوارها أو خلفها في المجلة صورة راقصة أو قصة داعر من هنا أو من هناك! وآثرت أن تكون بين رفيقاتها وصويحابتها في ديوان القوقعة الدامية. ذلك الديوان الجريح الذي يناسبه جداً رثاء الأندلس ، غير عابئ بالمجلات والدوريات اللماعة التطويعية الارتزاقية هنا وهناك. وأسأل: هل هانت عليهم قضية الأندلس إلى هذا الحد؟! إن الاندلس سوف تعيش في وجداننا وذاكرتنا وأشعارنا إلى أن تعود إن شاء الله عز وجل. وهي عائدة لا محالة. كما لا يفوتني أن أعتذر جدا للقارئ الحبيب عن هذه المقدمة الطويلة التي تصيبه بالملل والسآمة ، وإن هذا لم يكن مقصوداً. وكذلك أعتذر عن طول القصيدة). والحقيقة أنه عزيز على نفس كل إنسان ما جرى للأندلس. وإنني قبل سنوات كتبت (الأندلس: الأرض والفتاة). وكانت قصيدة لها مناسبتها. وأما قصيدتي (الأندلس بين المجد والفقد) ، فإنني أكتبها أبكى بها الأندلس ، وأرسم الطريق لعودتها. ومذكراً بما كان فيها من أسباب النصر والتمكين والمجد. ومبكتاً بما آلت إليه من أسباب الهلاك والضياع. ومقارنة بين أرض الأندلس وأخرى بأرض فلسطين ندرك من خلالها كيف فرّط أهل الأندلس في أرضهم! وكيف تمسّك الفلسطينيون بأرضهم! ومن هنا اعتبرتُ المسلمين المؤمنين الموحدين من الفلسطينيين أرجل شعب عرفته الدنيا! وإنني لأعتذر للقارئ العزيز عن طول المقدمة وطول القصيدة. وما أردت بذلك إلا الإصلاح والبيان. أنشدت في رثاء الأندلس هذه القصيدة فقلت:)

يـــــا أرض أنـــــدلسُ فـــــداكِ بيـــــاني عـــــف المقاصـــــد ناصـــــع التبيـــــانِ

شـــــعر رطيـــــب اللفـــــظ مِعطـــــارُ الســـــنا وتفـــــوقُ فحـــــواهُ شـــــذى الريحـــــان

يُزكـــي المشـــاعر ، فـــي قوافيـــه الصـــدى ورمـــــــوزهُ - للمعجبـــــين - حَـــــوان

وثمـــاره - لمـــن اشـــتهاها - أزلفـــتْ وخيـــــــوره - للـــــــراغبين - دَوان

شـــعرٌ شـــدتْ أجراسُـــه مُلتاعـــة حيرانـــــة الإيقـــــاع والألحـــــان

بـــدمي نقشـــتُ حروفـــهُ وطيوفـــهُ وســـعيتُ - فـــوق الشـــوك - والســـعدان

ورســـمتُ تجربتـــي مَعينـــاً صـــافياً لمـــن اســـتقى مـــن زمـــرة النـــدمان

لـــم أدخـــر - مـــن ســـاح عمـــريَ - مَعلمـــاً بـــل جُـــدت بالتـــذكير كالفيضـــان

أرســـلتُ نصّـــي للبرايـــا مُخلصـــاً ومَزجتـــه بحـــلاة الإيمـــان

وكتبـــتُ عـــن نفســـي وعمّـــا نـــالني والشـــعر كـــان وســـيلتي وبيـــاني

وذكـــرتُ آلام الكســـيرة أمتـــي ورددتُ عنهـــا - كـــم – عتـــيَّ طِعـــان!

وطعنـــتُ - كـــم - مـــن شـــبهة شـــرقتْ بهـــا فـــي غيـــر وادٍ ألسُـــنُ العُبـــدان!

وأقمـــتُ - كـــم - مـــن حُجـــة قـــد عُمِّيـــتُ فـــي عـــالم التطويـــع والخـــذلان!

لأعيـــد حقـــاً ، غاصـــبوه تفرعنـــوا وتـــذرَّعوا بعبـــادة الأوثـــان

ولكـــم بكيـــتُ ممالـــك الإســـلام فـــي دنيـــا القـــريض بـــدمعيَ الهَتـــان

ورثيـــتُ مجـــداً جُنـــدلتْ أركانُـــه فـــاليومَ مَـــن للمجـــد والأركـــان؟

وطفقـــتُ أهتـــفُ بالـــديار ، ترفعِـــي فلقـــد بُليـــتِ بذلـــةٍ وهـــوان

ولبســـتِ – للهيجـــاء - لامَـــة فـــارس والـــدار تســـحق همـــة الفرســـان

وظللـــتُ أوسِـــع مَـــن تقـــاعس لائـــذاً بالأمنيـــات وصـــولة الهـــذيان

ونقـــدتُ واقعنـــا المعاصـــر منصـــفاً متمســـكاً بشـــريعة الـــرحمن

مستصـــحباً حُكـــم المليـــك ، ورافعـــاً عَلـــمَ النزاهـــة فـــي ســـما الميـــدان

ومُعـــوّذاً قلبـــي بربـــيَ مخبتـــاً وعلـــى المهـــيمن وحـــده تُكلانـــي

أدلـــي بأصـــدق مَلحـــظٍ وشـــهادةٍ ونصـــيحةٍ فـــي الســـر والإعـــلان

يـــا أرض أنـــدلس مصـــابُكِ هزنـــي ... واجتـــاح عـــاطفتي ، ورجّ كيـــاني

واغتـــال إحساســـي بغيـــر جريـــرة ... وأصـــاب منـــي الجســـم باليرقـــان

ورمـــى - بحربتـــه - بـــرئ مشـــاعري ... والقلـــب عـــانى شـــدة الخفقـــان

مـــا إن ســـمعتُ بمـــا جـــرى ، وقرأتُـــه ... ولمســـتُ مـــن وحشـــية العُـــدوان

حتـــى بكيـــتُ ، وراعَنـــي فـــرط البكـــا ... والـــدمع قـــرَّح نضـــرة الأجفـــان

إذ أنـــتِ - فـــي هـــذي الـــديار - منـــارة ... تُزجـــي الضـــياء علـــى مـــدى الأزمـــان

ياقوتـــة - بـــين اللآلـــئ - تزدهـــي ... فـــي جيـــدها الوســـنان عقـــدُ جُمـــان

وكأنهـــا - بـــين الخلائـــق - غـــادة ... تُـــزري - بمـــا فـــي الأرض - مـــن نســـوان

تختـــال بـــين الغِيـــد ، تنشـــر حُســـنها ... والتـــاجُ - فـــوق الـــرأس - مـــن مَرجـــان

نعْـــمَ الجمـــالُ! ونعْـــم مَـــن تزهـــو بـــه! ... فلأنـــتِ - صـــدقاً - دُرة البُلـــدان!

وطبيعـــة خلابـــة ، تســـبي النهـــا ... أمســـتْ تـــدِل بحُســـنها الفتـــان

والمـــاءُ منســـابٌ علـــى جنباتهـــا ... ينجـــاب بـــين الـــدوح والأفنـــان

هـــذي الجنـــان يفـــوح عطـــراً جوُّهـــا ... وربوعُهـــا تحيـــا بفـــيض أمـــان

أرض حباهـــا ربهـــا كـــل البهـــا ... وتفـــوق فـــي الإبـــداع كـــل مكـــان

فيهـــا الجـــداولُ تحتفـــي بمُروجهـــا ... وجمالهـــا متنـــوعُ الألـــوان

وجبالهـــا ذهـــبٌ ، صـــفا لمعانـــه ... وبريـــق هـــذي الأرض فـــي الكثبـــان

حـــدِّثْ ولا حـــرج عـــن الخيـــرات فـــي ... هـــذي الـــديار وروعـــة البُنيـــان

كـــم قصَّـــد الشـــعراءُ فـــي حُســـن الربـــا ... وطـــلاوة الأصـــقاع والخلجـــان!

وكـــذاك صـــاغ الكـــاتبون نعيمهـــا ... ســـحراً حـــوى - كـــم - صـــورة ومغـــان!

كـــم صَـــورتْ أقلامُهـــم نســـماتها ... وهواءهـــا الميَّـــاد فـــي الوديـــان!

والشـــعر أبـــرز حُســـنها وجمالهـــا ... فاســـتقرئ الأشـــعار فـــي الـــديوان

واســـتنبئ التـــاريخ عـــن أمجادهـــا ... وتراثهـــا وأصـــالة العمـــران

يُنبيك عن عز وفحوى مَحتدٍ ... وعمارةٍ في غاية الإتقان

يا أرض أندلس ، رثاؤك دامعٌ ... والمجدُ - من خلف الثغور - دعاني

مجد الحضارة والشريعة والتقى ... هذان - في الدنيا - هما المَجدان

والعلم والأدب الرفيع دِعامة ... وهما لعُملة مجدنا صِنوان

وسلي إذا شئتِ (الأماليَ) كي ترَيْ ... مجداً ثوى في عالم النسيان

(وأبو علي) فيه أعمل فكرهُ ... حتى غدا في العلم كالصفوان

سِفرٌ أباد حوالكاً وديا جراً ... وتميَّز (القاليُّ) بالرجحان

وسلي (الفصوص) وما حوت صفحاتها ... (وأبو العلاء) بعلمه أغراني

حتى رأيتُ من (الفصوص) أشعة ... وبريقها بين السطور غزاني

وتفرَّد (العقد الفريد) بميزة ... تسبي العقول بنورها الريان

وسما (ابن عبد الرب) مِن بين الورى ... بالعلم يقتل ظلمة الأكوان

وسلي (الشريشيِّ) الذي مسح المدى ... لمَّا يدعْ - في الأرض - أي مَغان

ومضى مع (الليثيِّ) في الترحال لم ... يتركْ - بأرض الله - من قيعان

(والناصر) المغوار قد أرسى العُرى ... وعلى العِدا قد كان ذا صوَلان

قد كان - في الهيجاء - خير مقاتل ... يهوى الطعان ، وفي اليمين يماني

كم لقن الأعداء درساً شافياً! ... والموتُ أضحى من نصيب الجاني

خصمان كم زكتِ المعاركُ بينهم! ... والحق أنْ لم يستو الخصمان

خصمٌ يجاهد في المليك وشرعه ... فله جنانُ الخلد والرضوان

وعلى النقيض هناك خصمٌ كافرٌ ... ولسوف يَخلد في لظى النيران

(والناصر) الفذ الأديب أرادها ... محكومة بشريعة القرآن

لم يستعر قانون من عبدوا الهوى ... أنعم بحامي الحق من سلطان!

وأقـــام مكتبـــة علـــى أرحابهـــا ... حتـــى تقـــدّم علمهـــا الربـــاني

(وأبـــو البقـــاء) رَثـــا الممالـــك باكيـــاً ... ورِثـــا الممالـــك مـــن ســـنا العرفـــان!

هـــو خـــط فـــي (نونيـــة) بدموعـــه ... والشـــعرِ ، مـــا يُبكـــي جـــوى الإنســـان

هـــي مـــن عيـــون الشـــعر ، تطـــرب أهلـــه ... وتكـــون - للمكـــروب - كالســـلوان

إذ نـــوَّع (الرَنـــديُّ) إيحاءاتهـــا ... والنقـــدُ جلـــى روعـــة البرهـــان

وأدار دولاب المـــواعظ عامـــداً ... حتـــى يُبـــيِّن سُـــنة الـــديان

وأبـــان مـــن كيـــد النصـــارى صـــادقاً ... والكيـــد طـــابَعُ مِلـــة الكفـــران

أأبـــا البقـــاء نكـــأتَ جرحـــاً مزمنـــاً ... لمَّـــا يكـــن والله فـــي الحُســـبان

جوزيـــتَ خيـــراً ، أنـــتَ حقـــاً أهلـــه ... يـــا مـــن مَزجـــتَ الشـــعر بالشـــكران

أنـــت الـــذي علمتنـــا معنـــى الوفـــا ... لنقابـــل الإحســـان بالإحســـان

ورســـمتَ للشـــعراء دربـــاً مخلصـــاً ... وأضـــفتَ للإيحـــاء والأوزان

وأتـــى (ابـــن عبـــدون) فنـــافح وانبـــرى ... ليســـير فـــي مرثيـــة الإخـــوان

فســـعى إلـــى الميـــدان ، يبكـــي مَـــن قضـــى ... ويصـــد - فـــي ثقـــةٍ - رحـــى الطغيـــان

ويُعطـــر الـــدنيا بشـــعر نـــابض ... يُزجـــي حيـــاة العـــز للشـــجعان

فـــإذا قصـــائده منـــاراتُ الهُـــدى ... والشـــعر - فـــي الإيقـــاظ - مِثـــلُ أذان

وعلـــى الـــدغاول قصَّـــد (ابـــن خفاجـــةٍ) ... دُرراً تـــروِّض سَـــوْرة الغضـــبان

وبكـــى علـــى الأطـــلال ، ينـــدب حظهـــا ... وكأنمـــا الأبيـــات كالأكفـــان

ودموعُـــه - فـــوق الجمـــاجم - سُـــعِّرتْ ... وزفيـــرُه - فـــي الســـاح - مثـــل دخـــان

يبكـــي ، وتلـــتهم الوقـــائعُ بأســـه ... فيَحـــل يَحمـــل صـــولة الفزعـــان

يأســـى لمـــا نـــال الـــديار وأهلهـــا ... والشـــعر أثقلـــه جـــوى الأحـــزان

ويبيـــتُ يرتجـــل القـــريض مضـــمّخاً ... بـــأنين جفـــن مُجهـــدٍ يَقظـــان

يبكـــي علـــى المجـــد التليـــد ، وقـــد غـــدا ... خبـــراً بغـــزو كتائـــب الـــذؤبان

همَـــجٌ يُحـــرِّكهم عـــداءُ عقيـــدة ... فـــأتوا ، وفـــي الأيـــدي مـــن الصـــلبان

صـــبّوا علـــى الأرض الســـعير ، وأشـــعلوا ... فـــي النـــاس آفاقـــاً مـــن النيـــران

وانســـاب ســـيلُ الجمـــر يَحـــرق دارنـــا ... وســـرى هشـــيمُ النـــار كالطوفـــان

أمـــرٌ مُحـــالٌ أن تحـــاول وصـــفه ... وأراه لـــم يخطـــر علـــى الأذهـــان

(وأبـــو المطـــرِّف) شـــعرُه فضـــحَ الغثـــا ... شِـــيَعُ الصـــليب ، وعُصـــبة الشـــيطان

مَـــن أحرقـــوا (جيّـــان) فـــي وحشـــيةٍ ... مـــن أعملـــوا فـــي الخلـــق كـــل سِـــنان

مَـــن لطخـــوا بـــدما البرايـــا أرضـــها ... وكأنمـــا الـــدمُ صـــار بعـــض دِهـــان

فغـــدت خرائـــبَ بعـــد عـــز حضـــارةٍ ... وغـــدت يبابـــاً شـــرفة الإيـــوان

(أأبـــا المطـــرِّف) شـــعرُكم أزكـــى القنـــا ... وقصـــائد الـــديوان كالقضـــبان

نطقـــتْ - بمحـــض الصـــدق - كـــل قصـــيدة ... وكأنهـــا - يـــا صـــاح - ثغـــرُ رَزان

كـــم نـــددتْ بالشـــر أنزلـــه العِـــدا ... مِـــن كـــل عربيـــدٍ ، ومِـــن ســـكران!

مَـــن دمـــروا فـــي لمحـــةٍ (مَرســـية) ... والـــدور - بعـــد القصـــف - كالحِيطـــان

وتقاســـموا دَوْراً رآه كبيـــرُهم ... إذ إنـــه - فـــي اللـــدغ - كالثعبـــان

ســـكبوا علـــى الأرض اللظـــى فتضـــورتْ ... وقلـــوبُهم كحجـــارة الصـــوان

لـــم يرحمـــوا شـــيخاً ولا امـــرأة ، ولا ... لـــم يُشـــفقوا حتـــى علـــى الصـــبيان

فـــإذا بأشـــلاء الضـــحايا كـــالثرى ... والـــبعض بـــين مخالـــب العقبـــان

وإذا بأجمـــل بقعـــة فـــي دارنـــا ... أودتْ بهـــا همجيـــة الشـــنآن

خـــارت قـــوى هـــذي المدينـــة ، فـــانزوتْ ... خلـــف الربـــا ، تعســـاً لـــذا الخـــوَران!

(والتلمســـانيّ) المـــؤرّخ خصّـــها ... مـــعْ أختهـــا فـــي الابـــتلا (جيـــان)

واســـأل (بلنســـية) لـــمَ ارتجفـــتْ أســـىً؟ ... وهـــل اســـتُجيب لـــذلك الرجفـــان؟

إذ طالهـــا أعـــداؤها بســـيوفهم ... فاســـتنجدتْ بالفـــارس الطعـــان

وغـــدتْ مســـاجدها كنـــائسَ للعِـــدا ومجامعـــــاً تكـــــتظ بالأديـــــان

وعلـــتْ بباطـــل شـــركهم أجراسُـــهم واستأســـــرتْ بـــــالجبر بـــــالآذان

واهتـــفْ بـــ (قرطبـــةِ) العلـــوم ودَوْرهـــا وتراثهـــــا المتشـــــامخ العثمـــــاني

واســـأل عـــن العلمـــاء أيـــن دروســـهم (القرطبـــــي) وصـــــنوُهُ (الطبرانـــــي)؟

والشـــعرُ أيـــن؟ وأيـــن نثـــرٌ قـــد ثـــوى؟ وأســـأل عـــن (القـــاليّ) (والهمـــذاني)؟

أيـــن (ابـــنُ حـــزم) فـــي براعـــة فقهـــه وجدالـــــه بـــــالحق كـــــل جبـــــان؟

أيـــن (المُجلّـــى) صـــاغه لمـــن اشـــتهى فقـــــةَ الشـــــريعة والهُـــــدى الربـــــاني؟

وأقـــول: بـــل أيـــن (المُحلّـــى) صـــاغه لمـــن ابتغـــى الـــذكرى مـــن الوُلـــدان؟

ليُحـــق حقـــاً ، ثـــم يُبطـــل بـــاطلاً إذ لـــيس فـــي الإســـلام مـــن بُطـــلان

واســـأل (طليطلـــة) الجمـــال عـــن البهـــا واســـــأل عـــــن التفـــــاح والرمـــــان

واســـأل عـــن الـــدرّاق يُـــبهج نـــاظراً واســـــأل عـــــن الزيتـــــون والسِّـــــمان

واســـأل عـــن البَلشـــون مـــلء ســـمائها والبرتقـــــال يُطـــــل مـــــن بُســـــتان

واســـأل عـــن الجنـــات مـــلء رحابهـــا مـــــن كـــــل فاكهـــــةٍ بهـــــا زوجـــــان

واســـأل عـــن الأنهـــار تمنحهـــا الـــروا والمـــــاءُ فيهـــــا دائـــــمُ الجريـــــان

واســـأل عـــن الأطيـــار تشـــجيها غنـــا! ســـــرباً تطيـــــر ، وبعـــــد ذاك مَثـــــاني

وهواؤهـــا يشـــفي العليـــل نســـيمُه ويُفيـــق مَـــن فـــي حَمـــأة الغثيـــان

وإذا بهـــا رمـــل علـــى صـــخر تبعـــ ـــثر فـــي الـــدجى ، فـــي غيْبـــة الســـكان

مَـــن حطـــم العمـــران دون هـــوادةٍ؟ مَـــن أعمـــل الأســـياف فـــي الأبـــدان؟

مَـــن أحـــرق الزيتـــون والرمـــان مـــن؟ ومَـــن الـــذي أشـــفي بـــدون تـــوان؟

مَـــن دك بُنيـــان العظيمـــة دارنـــا؟ ومَـــن اســـتطال بهـــا بـــلا اســـتئذان؟

إن الجنـــاة هـــم النصـــارى وحـــدهم والكيـــدُ كيـــدٌ مُشـــركٌ نصـــراني

وســـل (الـــوزير) ، وقـــد رثـــى أحبابـــه أبنـــاءَ (عَبَّـــادٍ) ســـنا الأقـــران

ورِثـــا (أبـــي بكـــر) أصـــيلٌ فاصـــلٌ خـــال مـــن التدشـــين والبُهتـــان

والشـــعر يشـــهد بالبراعـــة ضـــارعتْ رجْـــع الصـــدى ، وثواقـــب الشـــهبان

قلـــمٌ أصـــاب مـــن القـــريض لبابَـــه ولـــه - إلـــى ســـبْي الشـــعور - يـــدان

إن (الـــوزير) لصـــادقٌ فـــي شـــعره ومُخلـــل أشـــعاره بحنـــان

فـــإذا قـــرأتَ هفـــا إليـــك قريضـــه مثـــل الثمـــار تحـــن للأغصـــان

فـــإلى (أبـــي بكـــر) رطيـــبُ تحيـــةٍ مـــا قالهـــا مـــن قبـــلُ أي لســـان

وعليـــه مـــن رب الخلائـــق رحمـــة مـــا لاذت الأطيـــار بـــالطيران

أنـــا مـــا نســـيتُ (الشـــاطبيّ) وعلمـــه (والإعتصـــامُ) منـــارة الحيـــران

علـــمٌ وتوحيـــدٌ وفقـــهٌ واضـــحٌ هُـــم للمليـــك بقيـــة العرفـــان

نهـــر مـــن العلـــم المـــنقح قـــد جـــرى - بـــين الـــورى - هِبـــة مـــن المَنـــان

(والشـــاطبي) - كمـــا أرى - موســـوعة هـــو جهبـــذ - صـــدقاً - رفيـــع الشـــأن

وأضـــاء (شـــاطبة) بعـــذب عطائـــه لمَّـــا يُـــردْ - بـــالعلم - مـــدحَ فـــلان

بـــل نيّـــة خلصـــتْ لـــديان الـــورى يرجـــو بهـــا بُحبوحـــة الغفـــران

إنـــي لأحســـبه ، وربـــي حَســـبُه كـــيلا أكـــون عـــدلتُ بـــالرحمن

رحـــم المليـــكُ (الشـــاطبيّ) فقيهنـــا مـــادام - فـــي هـــذي الـــدنا - الـــثقلان

يـــا أرض أنـــدلس ، رجالـــك نـــوروا آفاقنـــا بشـــرافة الفرقـــان

إن كنـــتُ أنســـى ، لســـتُ أنســـى شـــاعراً مـــلأ الـــدنا بأطايـــب الألحـــان

أعنـــي (الفـــزاريَ) الأديـــب وشـــعره يحكـــي الـــذي قـــد كـــان مـــن (حســـان)

قـــد كـــان شـــاعر عصـــره وزمانـــه وأميـــر شـــعر الحـــق كـــل زمـــان

أعطـــى ، ولـــم يـــكُ فـــي التفضـــل بـــاخلاً ورثـــى ذهـــاب الـــدار والشـــبان

وكـــذا (ابـــن غسّـــال) خطيـــبٌ مُصْـــلِقٌ وأديـــبُ كـــل مَحلـــةٍ وأوان

صـــاغ القصـــائد فـــي مُصـــاب بـــلاده ... وكأنمـــــا الأشـــــعار رجْـــــعُ أغـــــان

هـــو شـــاعر نثـــر القـــريض مزركشـــاً ... فشـــدتْ بـــه ـ فـــي الـــدار ـ بعـــضُ قيـــان

وكـــذا (ابـــن عبـــدون) ، فأعـــذب شـــاعر ... وجـــوادُه ـ فـــي الشـــعر ـ دون عنـــان

أبكـــى ـ وبعـــدُ بكَـــى ـ لمَـــا نـــال الـــورى ... وقصـــــيدهُ كالمِرجـــــل المَـــــلآن

فلـــكٌ يـــدور الشـــعر فـــي وجدانـــه ... والقلـــبُ فـــي جـــدٍّ ، وفـــي دوران

لـــم يَخـــذل الـــدار الكســـيرة لحظـــة ... إذ خـــذلها مـــن أقـــبح النكصـــان

بـــل بـــيَّن الحـــق الـــذي يحيـــا لـــهُ ... لمَّـــا يَبُـــوْ بمـــرارة الكتمـــان

واســـتهجن الغـــزو الكفـــور لـــداره ... والشـــعر تـــاق لـــذاك الاســـتهجان

فـــإذا قصـــائده النبـــالُ علـــى العِـــدا ... تحثـــو الجحـــيم علـــى ذرى التيجـــان

فليـــرحم الـــرحمن شـــاعرنا الـــذي ... نصـــر الشـــريعة بالمِـــداد القـــاني

يـــا أرض أنـــدلس ، ألا فلتـــذكري ... بطـــلاً ســـما إذ جـــاءتِ الفئتـــان

قـــد كـــان فـــي (الزلاقـــة) الشـــهبا فتـــىً ... إمَّـــا رأيـــتَ فـــذا (أبـــو ســـفيان)!

هـــذا علـــى الجبـــار (معتمِـــدٌ) ، فلـــم ... يَعمَـــد إلـــى ذي قـــوةٍ عِبرانـــي

أبلـــى بـــلاءً فـــي الجهـــاد ، ولـــم يكـــن ... فـــي بأســـه والصـــدع بـــالمُتواني

لمّـــا يفـــرّ ، وقـــد رأى سُـــعُر القنـــا ... إن الفـــرار كبـــائر العصـــيان

يـــا أرض أنـــدلس خِلالـــكِ جمـــة! ... وبريقهـــا مستشـــرفُ اللمعـــان

إنـــا افتقـــدنا فيـــكِ أعظـــم جنـــة ... والقـــول قـــولٌ منصـــف حقـــاني

بـــذنوبنا وذنـــوب قومـــكِ كـــان ذا ... والســـنة انســـحبتْ علـــى الجيـــران

كـــم عشـــتِ مجـــداً شـــامخاً مترفعـــاً ... حتـــى محتـــه معـــاولُ الحرمـــان!

فغـــزاكِ أخـــزى مَـــن علـــى هـــذي الـــدنا ... وأقـــول: مَـــن أخـــزى مِـــن الرومـــان؟

والله أســـأل أن يُعيـــدك للـــدنا ... مـــأوى لأهـــل الحـــق والإيمـــان

يـــا رب فـــاجبر كســـرها ، وتولهـــا ... مَـــن ينصـــر الهلكـــى ســـوى الـــديان؟

بعض المفردات والأعلام الواردة في النص

عف: عفيف. السنا: الضياء. شذى: رائحة. حواني: أي حانية عطوفة. دواني: أي دانية قريبة. أزلفت: قربت. جندلت: أي قوضت. الهيجاء: الحرب. تقاعس: تخاذل. السعدان: هو نوع من الشوك البري. جريرة: جرم وذنب. جُمان: لؤلؤ. فرط : كثرة الشيء . الدوح: الأشجار. خلابة: ساحرة. غادة: هي المرأة الحسناء. الأمالي: كتاب أبي علي القالي وهو من علماء الأندلس الأشاوس. الفصوص: كتاب بديع لأبي العلاء. العقد الفريد: كتاب جيد للعالم الجليل ابن عبد ربه الأندلسي. الليثي وكذلك الشريشي: رحالتان من الأندلس. عبد الرحمن الناصر: من الذين كان لهم شأن في الأندلس ، ولا ينسى دوره في جمع الكتب وإنشاء مكتبة عظيمة. أبو البقاء الرندي: شاعر النونية. بلنسية وقرطبة ومرسية وجيان وشاطبة وحمص وطليطلة: هي كلها مناطق وبلاد في الأندلس. الوزير: هو أبو بكر بن اللبانة والذي رثى بني عباد. وابن عبدون شاعر رثى بني الأفطس. ابن خفاجة: شاعر قدير. أبو المطرف: شاعر فذ. نفح الطيب: كتاب بديع لابن المقرئ التلمساني. محمد الفازاري: شاعر أندلسي معروف. ابن الغسال: أيضا شاعر أندلسي مشهور. ابن الأبار القضاعي: شاعر وعالم. المعتمد على الله أبو القاسم: هو قائد معركة الزلاقة رحمه الله. محمد بن عبدون: شاعر قدير رثا بلاد الأندلس. الديان: هو اسم من أسماء الله عز وجل. القنا: الحرب.

البطولة بين الظل والحرور

(أراد أن يعيش لمبادئه وقيمه ، فكانت معاناة بين ظل المبادئ وحرور المعيشة اللافح. وانتصرت البطولة. وقليلون هؤلاء الذين يحيون في زماننا لمبادئهم وأخلاقهم! والمال عندما يصبح غاية وجود يعتبر نقمة ولعنة في ذات الوقت. والأصل أننا لا نهدر قيمة المال ، بل نراه قوام الحياة ، بعد الدين والعقيدة والأخلاق! ولكن المسألة عند الماديين عبيد المال تأخذ شكلاً آخر ، حيث يكون المال إلهاً يعبد من دون الله تعالى! فهل يُصَدقون أنفسهم هؤلاء الحمقى الذين يعبدون المال ، أنه يستحق العبادة أم لا؟)

حقيـــرٌ المـــالُ إذ يحيـــا لـــه عَلـــمُ ... والشـــهمُ لـــيس - أمـــام المـــال - ينهـــزمُ

وذو المبـــــادئ لا يبيـــــع مبـــــدأهُ ... ومـــا الحيـــاة إذا مـــا بيعـــتِ الـــذمم؟

وإنمـــا العـــيشُ أخـــلاقٌ وتجربـــة ... فـــي عـــالم الطهـــر ، والتقـــوى لهـــا دعـــم

تفنـــى الحيـــاة ، ويبقـــى مـــن معالمهـــا ... دربٌ - مـــن القـــيم العصـــماء - معْـــتلم

ولـــيس يُـــدرك مـــا أرمـــي إليـــه فتـــىً ... أمســـت – لـــه - دربـــاً الـــلأواءُ والظلـــم

يُرقـــع العـــيش بالـــدين الحنيـــف ، فـــلا ... يحلـــو لـــه العـــيشُ ، أو تبقـــى لـــه قـــيم

ولا يُحـــس - بمـــا تأتيـــه - مِـــن مِحـــن ... ولـــم يـــزر قلبـــه حـــزنٌ ولا نـــدم

لكنمـــا صـــادقُ الإيمـــان منتبـــهٌ ... كـــيلا تـــزل بـــه - فـــي الخيبـــة - القـــدم

يراقـــب الله فـــي ســـر ، وفـــي علـــن ... والمـــؤمن الحـــق لا تـــودي بـــه الـــنقم

شـــتان بـــين الـــذي يحيـــا لشـــهوته ... ومَـــن بشـــرع الهُـــدى فـــي النـــاس يلتـــزم!

هـــي (البطولـــة) والتقـــوى ســـفينتها ... فـــي لُجـــة العـــيش ، نعـــمَ المـــنهجُ اللقـــم!

والظـــل مَـــدّ لهـــا آفـــاق رحمتـــهِ ... فـــلا تحرّقهـــا نـــارٌ ولا جحـــم

والمـــوتُ - فـــي طاعـــة الـــرحمن - مَنقبـــة ... والعـــيشُ - فـــي بـــرك العِصـــيان - مُـــتهم

شـــتان بـــين ظـــلال الطاعـــة انتشـــرتْ ... وحَـــر معصـــيةٍ ، كأنهـــا الحُمَـــم!

(بطولـــة) أن يَـــراك النـــاسُ ذا خلـــق ... وخيبـــة أن - بمـــا يُشـــقيك - تعتصـــم

الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ

(كتب الوالد أرضه - التي تزيد عن عشرة أفدنة - لابنه حارماً ابنته الوحيدة من الميراث. وتابعتْه على ذلك العائلة بأسرها ، حيث لم يكن من بينهم واحد حقاً منصف عادل! وحاول الابن (موضوع قصيدتنا) أن ينصح ويبين الحق لكنه لم يجد من أذن واعية منصتة. وبعد موت ذلك الأب أعطى الأخ حق أخته لها بالمعروف والعدل. ولم يُقر ظلمَ الأب ، ولم يقبل تغيير منار الحق والعدل. فلما سئل في ذلك قال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: فعلت ذلك لأحقق أهدافاً خمسة ، الأول هو إقامة العدل الذي أمر الله به ، إذ لا يجوز حرمان وريث من إرثه بحال ، وأبي حرم أختي دون وجه حق له في ذلك. والثاني هو أنني لا أريد لهذه السُنة والعادة السيئة - التي ينتهجها مع أبنائه وبناته كل أب ظالم أو أم ظالمة أن تستمر. والثالث هو حبي الشديد لأبي لأنني لا أريد له أن يلقى الله – عز وجل - ظالماً. وقد عاش ما عاش بيننا مثالاً في العدل والتسامح. والرابع هو حبي الشديد لأختي الكبرى التي ما كانت تستحق من الكل إلا الخير ، وقد حرصت أن أبقيَ على أواصر المودة والمحبة بيننا ، إذ المال يأتي ويذهب ونحن سنزول عنه بموتنا ، هذا إن لم يزل عنا في حياتنا ، وإنما يبقى الخير والعمل الصالح في الدنيا والآخرة. والخامس هو أنني لا أريد أبداً أن ألقى الله بعد موتي ظالماً متجاوزاً لحدوده ولشريعته. فانفعلت لذلك كشاعر ، خاصة ونحن نرى أن كثيراً من الآباء والأمهات قد وقعوا في تلك الكبيرة الشنيعة. يقول الأستاذ حسين أحمد عبد القادر عن العدل ما نصه بتصرف: (إن العدلَ من أعظم القِيم في الإسلام التي أمر الله تعالى بترسيخها وتطبيقها ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، وإن امرأةً مخزوميَّة شريفة سرَقَتْ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن يَشفَعَ فيها ، فغَضِب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (أتشفَعُ في حدٍّ من حدود الله! إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ! وايمُ اللهِ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت ، لقطعتُ يدها) ؛ (رواه البخاري). قام الرسولُ صلى الله عليه وسلم بتوطيد العدل ، وتطبيق المساواة ؛ لكي يتبعَ المسلمون هذا المنهجَ العظيم ؛ لإقرار الحق والعدل ، ودحضِ الباطل ، دون اعتبارٍ لنَسَب أو جنس أو لون ، إنها شريعةُ الله تعالى التي يَنعَمُ في ظلِّها الجميعُ ؛ قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). وقِيمُ العدل والمساواة عند تطبيقِها يتقدَّم المجتمع المسلم ، ويسعى إلى الرخاء والنموّ ، ويستعيدُ الأمجاد القديمة ، ويعودُ ليقودَ البشرية في نشر أُسُس الدين الإسلامي ، وتطوير العلوم ، وإعمار الأرض ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ، فالكل في دولة العدل يشعر بالسكينة والأمان ؛ فلا يَخشى من الظلم والعدوان. والعدل يَتحقَّقُ في مجتمعنا المسلم بتطبيقه على الجميع ، فلا توجدُ محاباةٌ لعلية القوم ، ويتمُّ رد الحقوق للفقراء والمساكين ، فمن أجرَم فله العقاب ولو كان من ذوي السلطان والمال ، ومن أحسنَ فله الثوابُ ولو كان من البسطاء ، ومن أجمل صور العدل: أن يقوم المسلمُ بتطبيق العدل أولاً على نفسه ، فيقرَّ بالخطأ ، ويعتذرَ لمن أساء إليه ، ويسارع بالإحسان ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). ومن صور العدل العظيمة: أن يقوم المسلمُ بتبنِّي قيم العدل مع الأعداء ، فلا يجور عليهم ، ولا يبخسهم

حقوقَهم ، فهذا الأمر من أسس التقوى في دين الإسلام العظيم ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). لقد كان الرسولُ صلى الله عليه وسلم أكثرَ الناس عدلاً ، وسيرتُه الشريفة ينبوع متدفِّق لكل القيم النبيلة ، وفي القصص النبوي ترسيخٌ للعدل ، وإقرار بالمساواة ، فما أحوجَنا إليهما!)هـ. المهم أن ذلك الأخ العادل قد أعجبني عدله ، عندما أعطى حق أخته. فأنشدت من شعري حكاية على لسان ذلك الأخ المحترم التقي!)

لا تخـــافي ، إن الـــردى أن تخـــافي ... واســـتريحي مـــن سَـــوْرة الإجحـــافِ

كـــم نصـــحتُ ، لكـــنْ أبـــوكِ تعـــامى! ... ورمـــــاني بـــــبعض الاســـــتخفاف

قلـــتُ: كـــلا ، فقـــال: هـــذا مـــرادي ... قلـــت: ظلـــمٌ ، واعمـــدْ إلـــى الإنصـــاف

فتمـــادى فيمـــا ارتـــآهُ صـــواباً ... وهْـــو جـــورٌ ، مصـــيرُه غيـــرُ خـــاف

فانطلقـــتُ إلـــى الأقـــارب ســـعياً ... علنـــي أحظـــى فـــي اللقـــا بالتصـــافي

فـــإذا بـــي ألقـــى التواطـــؤ مـــنهم ... واتهِمـــــتُ بـــــأنني المتجـــــافي

فانتويـــــتُ رد الحقـــــوق رضـــــيًّا ... إن هـــــذي طبيعـــــة الأشـــــراف

أنـــتِ أغلـــى مـــن كـــل أرض ومـــال ... مـــا علـــى هـــذا القـــول أيّ خِـــلاف

ورضـــــاءُ الـــــرحمن أفضـــــلُ زادٍ ... تلـــك كانـــت وصـــية الأســـلاف

فخـــذي يـــا أختـــي الحبيبـــة حقـــاً ... ضـــاع بـــين التغريـــر والإرجـــاف

ثـــم كـــوني علـــى الـــدوام مـــلاذي ... بعـــدُ يـــا مقـــرورة الأوصـــاف

جنبينـــا نـــاراً تحـــرِّق جـــيلاً ... ودمـــــاءً تـــــراق بالأســـــياف

وحـــرامٌ علـــى القرابـــة حيـــفٌ ... فيـــه تبقـــى الأرحـــامُ كالأضـــياف

تـــذكُرين مـــذ كنـــتُ شـــبلاً صـــغيراً ... طيّـــبَ القلـــب ، أزدهـــي بعفـــافي

وأنـــا اليـــومَ مثـــلُ أمســـي وأحلـــى ... وأراكِ فـــي مهجتـــي وشـــغافي

الحلال بيِّن والحرام بيِّن!

(في مجلة (منار الإسلام ، العدد 6 السنة الرابعة والعشرون ، قصة لأحد أهل السنة الموحّدين من أهل عمان. كان قد رفض قبول 30 ألف ريال ربا. وقال: هذا مالٌ حرام لا أقبله وقد استفتيتُ أهل العلم وعلِمتُ بحُرمته. فعل هذا وهو في أمسّ الحاجة لكل ريال. فأنشدتُ حكاية عنه! قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). والصالحون الطيبون مع حرصهم على طيب مكاسبهم ، والتورع عن مشتبهها ، قد يُبتلون في أموالهم وأنفسهم كما يبتلون في غيرها ، فهم أشد الناس بلاء ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رواه الترمذي وصححه ، وابن ماجه وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".)

تعسَ المالُ ، فكم أعمى البَشَرْ! فاستساغوا الذنب في شتى الصُّورْ

واستهانوا بالخطايا جُملة واستباحوا الظلم يأتي بالضرر

واستحلوا كل ما طالت يدٌ واستطالوا في متاهات الخطر

ولأهل الخير - فيهم - شِيمةَ كل فذٍ - في الورى - مثلُ القمر

يعلمون الحق ، هذا سَمتُهم ولهم لونُ اجتهادٍ ونظر

فالحلالُ بيّنٌ ، لم يشتبهْ والحرامُ واضحٌ ، لا يستتر

وكتابُ اللهِ يُحْيي عَيشهم وكذا السُّنة تُحْيي والأثر

يذكرون اللهَ ، والحُسنى لهم فاز قومٌ يذكرون المُقتدر

لن تُفيدَ المرءَ أموالُ الرِّبا إنها الحربُ – وربي – لا وزر!

والفقيرُ قد قلاها حِسبةَ والمجلاتُ استنارتْ بالخبر

رغم أن الفقر كم أزرى به! إنه للمال - صِدقاً - مُفتقر

حُق لي واللهِ إطراءُ الفتى! إنني بالصِيد دوماً أفتخر

لا أزكّيه ، ولكنْ حقهُ رب أعطِ العبدَ مالاً كالمطر!

بعد اليوم بين بين

(اعتاد ذلك الموفق أن يُحسن النية والقصد مع الكل. فجنى عليه هذا المسلك حيث حصد الحنظل من ورائه. فقرر أن يتوسط فلا يسرف وأن يعتدل فلا يغالي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا). أخرجه أحمد والبُخاري. قال النووي: (إن المُحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به ، ومعناه احذروا إتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول ، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل).هـ. شرح النووي على مسلم. فأنشدتُ قصيدتي في مدح التوسط وعدم المغالاة ، وذلك على الكامل!)

إن التوسّـــط ـ فـــي الأمـــور ـ هنـــاءُ ... ويُضـــــيرُنا الإفـــــراط والغُلـــــواءُ

والله ذمّ المســـــــــرفين مذمّـــــــــة ... يرتـــــاعُ منهـــا الصـــفوة الحكمـــاء

وكـــذاك ربـــي ذمّ قومـــا قـــد غلـــوْا ... فـــي ديـــنهم ، وتطـــاولوا وأســـاؤوا

هـــيَ أمـــةَ الإســـلام أعـــدلُ أمـــةٍ ... وَسَـــطَ ، وإن أزرى بهـــا الجُهـــلاء

وسَـــطَ ، فـــلا إفـــراط يَـــدمغ سَـــمتها ... كـــلا ، ففيـــه الضـــنكُ والبلـــواء

وســـطَ ، فـــلا تفـــريط يَـــدحضُ شـــأنها ... كـــلا ، ففـــي تفريطهـــا الأرزاء

مـــن أجـــل ذلـــك لا تبـــالغ ، واعتـــدلْ! ... عـــدمُ اعتـــدالك خيبـــةَ وشـــقاء

كـــنْ منصِـــفاً فـــي الحكـــم تُصـــدرُه علـــى ... كـــل الأمـــور كمـــا تـــرى وتشـــاء

كـــنْ بـــينَ بـــينَ لكـــي تعـــيش موفقـــاً ... ويُحبـــك الأفـــذاذ والعقـــلاء

وتـــدبّرِ الأفكـــارَ ، أنـــت وليّهـــا ... كـــيلا يُصـــيبك ـ فـــي الحيـــاة ـ بـــلاء

أوَمـــا تـــرى الغـــالين مَلّهـــمُ الـــورى ... والكـــل يُجمِـــع أنهـــم ســـفهاء؟

يـــا صـــاح ـ بعـــد اليـــوم ـ كـــنْ مسترشـــداً ... وادرسْ أصـــولاً خطهـــا العلمـــاء

واعقـــلْ ، ولا تـــكُ طائشـــاً متهـــوراً ... إن التعقـــلَ فِطنـــةَ وذكـــاء

واربـــأ بنفســـك عـــن تملـــق طَغمـــةٍ ... فتملـــقُ الأوْغـــادِ بـــئسَ الـــداء!

بغداد بين الازدهار والانهيار

(ليس هذا العنوان من عندي ، بل عثرت عليه عندما كنتُ أتصفح بعض الوريقات عن تاريخ بغداد ، فإذا بي أعثر عليه من الأستاذ الدكتور راغب السرجاني! فرُحتُ أقتبسه كما هو. وإذا ذكرنا بغداد فلنذكر معها بانيها ومؤسسها ومشيّد نهضتها الخليفة المنصور! وهنا أتوقف لأقتبس من كتب التاريخ ما أجمع عليه المؤرخون من (كتاب تاريخ بغداد لابن عساكر) إلى المراجع والأبحاث التاريخية المعاصرة على اختلافها)! فمن أهم أعمال الخليفة أبو جعفر المنصور في الدولة العباسية: (القضاء على الثورات والاضطرابات الداخلية ونشر الأمن والاستقرار في إرجاء الخلافة. - بناء بغداد المدينة المدورة وجعلها عاصمة للخلافة العباسية. - تشجيعه لمجالس العلم والأدب وتقريبه للعلماء والأُدباء. - الاهتمام بالأمور المالية والإدارية للدولة وجعل الإدارة مركزية. - الاهتمام بالجيش وتسليحهُ تسليحاً جيداً). وكان في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عددٌ من القادة الأبطال أبرزهم معِن بن زائدة الشيباني ، وهو القائد العربي المسلم الذي قضى على أعداء الدولة العربية الإسلامية العباسية. وبنى الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة بغداد على شكل دائرة ، وأطلق عليها اسم مدينة السلام أو دار السلام ، وتم بناء المدينة في أربع سنوات من (149- 145) على شكل دائرة يحيط بها سور يسمى السور الأعظم وأربع بوابات: البوابة الأولى تسمى باب الشام التي تقود إلى بلاد الشام! والبوابة الثانية تسمى باب الكوفة التي تقود إلى محافظة الكوفة! والبوابة الثالثة تسمى باب البصرة التي تقود إلى محافظة البصرة! والبوابة الرابعة باب خراسان الذي يقود إلى الفارسيين أو دولة إيران! وداخل المدينة كان هناك جامع المنصور الذي كان مربع الشكل ودواوين الحكومة ومساكن الناس والجيش. ونشطت الحركة العلمية حيث وصلت الحضارة العباسية إلى أوج عظمتها ، فكان هناك عددٌ من العلماء منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي اشتهر بعلوم النحو وعلوم العروض (لمعرفة نظام الشعر وأوزانه) والقاضي أبو يوسف في علم الفقه والمسعودي في الجغرافية واليعقوبي ويبرز جابر بن حيان في الكيمياء! وابتكروا الإسطرلاب لرصد حركة النجوم والكواكب وحنين بن إسحاق ومعظم من أفراد أسرته في اللغة والأدب وكان حنين يشرف على أهم مكتبة في عهد المأمون وهي مكتبة بيت الحكمة ، فأصبحت بغداد أكبر مركز علمي وثقافي آنذاك يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم للدراسة في مدارسها وجامعاتها مثل المدرسة المستنصرية. ولم يدم الحال هكذا طويلا فلقد واجه المنصور القلاقل والثورات والاضطرابات! ولما قتل المنصور أبا مسلم الخرساني غضب لمقتله رجل مجوسي اسمه "سُنباذ" ، فثار والتف حوله الكثيرون من أهل "خراسان" ، فهجموا على ديار المسلمين في نيسابور و"قومس" و"الري" ، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، ثم تبجحوا ، فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة ، فأرسل إليهم المنصور جيشًا بقيادة جمهور بن مرار العجلي ، فهزمهم واستردَّ الأموال والسبايا ، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سنباد" سنة 137هـ / 756 م، حتى واجه ثائرًا ينادى بخلع المنصور ، إنه "جمهور بن مرار العجلي" قائد جيوش المنصور التي هزمت "سنباد". ولما هزم "جمهور" سنباد ، واسترد الأموال ، كانت خزائن أبى مسلم الخراساني من بينها ، فطمع "جمهور" ، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور ، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور ، فماذا كان؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم ، فهزم "جمهورًا" الذي فر هاربًا إلى "أذربيجان" ، وكانت الموقعة في سنة 137هـ / 756 م. وكانت هناك ثورات متتالية تهدد

الحياة وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم العباسيين. منها ثورات للخوارج الذين أصبحوا مصدر إزعاج للدولة العباسية. لقد خرج آنذاك "مُلَبّد بن حرملة الشيباني" في ألف من أتباعه بالجزيرة من العراق ، وانضم إليه الكثيرون ، فغلب بلادًا كثيرة ، إلى أن تمكنت جيوش المنصور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة 138هـ / 757 م. وتحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة 148هـ بالموصل تحت قيادة "حسا بن مجالد الهمداني" ، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل. وواجه الخليفة المنصور العباسي ثورات منحرفة لطوائف أخرى ، ففي سنة 141هـ / 759 م. واجه المنصور ثورة أخرى لطائفة من الخوارج يقال لها "الراوندية" ينتسبون إلى قرية "راوند" القريبة من أصفهان. إنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى واحد يسمى "عثمان بن نهيك" وأن جبريل هو الهيثم بن معاوية - رجل من بينهم - ، بل لقد خرجوا عن الإسلام زاعمين أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو "أبو جعفر المنصور" ، فراحوا يطوفون بقصره قائلين: هذا قصر ربنا. ولم يكن ينفع هؤلاء إلا القتال ، فقاتلهم المنصور حتى قضى عليهم جميعًا بالكوفة. وتعتبر ثورة محمد النفس الزكية من أخطر الثورات التي واجهت المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ، من سويقة المدينة (سويقة الثائرة) وكان من أشراف بنى هاشم علمًا ومكانة ، وكان يلقب بـ "النفس الزكية" فاجتمع العلويون والعباسيون معًا وبايعوه أواخر الدولة الأموية ، وكان من المبايعين "المنصور" نفسه ، فلما تولى الخلافة لم يكن له هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل ، وهنا خرج "محمد" النفس الزكية بالمدينة سنة 145هـ /763 م ، وبويع له في كثير من الأمصار. وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة ، واجتمع معه كثير من الفقهاء ، وغلب أتباعه على "فارس" و"واسط" و"الكوفة" وشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف. بعث المنصور إلى "محمد النفس الزكية" يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال ، ويرد "محمد" بأن على المنصور أن يحكم بدين الله ولا يمكن شراء المؤمن بالمال. وكانت المواجهة العسكرية هي الحل بعد فشل المكاتبات ، واستطاعت جيوش أبى جعفر أن تهزم "النفس الزكية" بالمدينة وتقتله ، وتم القضاء على أتباع إبراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتلهم. وأيضا ثورة كافر خراسان في سنة 150هـ ، فلقد خرج أحد الكفرة ببلاد خراسان واستولى على أكثرها ، وانضم له أكثر من ثلاثمائة ألف ، وقتلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين ، وهزموا الجيوش في تلك البلاد ، ونشروا الفساد هنا وهناك ، فبعث أبو جعفر المنصور بجيش قوامه أربعون ألفا بقيادة "خازم بن خزيمة" ، الذي قضى على هؤلاء الخارجين ، ونشر الأمن والاستقرار في ربوع خراسان. وبعد ذلك رغب الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء عاصمة جديدة لدولته بعيدة عن المدن التي يكثر فيها الخروج على الخلافة كالكوفة والبصرة ، وتتمتع باعتدال المناخ وحسن الموقع ، فاختار "بغداد" على شاطئ دجلة ، ووضع بيده أول حجر في بنائها سنة (145هـ - 762 م) واستخدم عددا من كبار المهندسين للإشراف على بنائها ، وجلب إليها أعدادا هائلة من البنائين والصناع ، فعملوا بجد وهمة حتى فرغوا منها في عام (149هـ - 766 م) وانتقل إليها الخليفة وحاشيته ومعه دواوين الدولة ، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة العباسية ، وأطلق عليها مدينة السلام ؛ تيمنا بدار السلام وهو اسم من أسماء الجنة ، أو نسبة إلى نهر دجلة الذي يسمى نهر السلام. ولم يكتف المنصور بتأسيس المدينة على الضفة الغربية لنهر دجلة ، بل عمل على توسيعها جدا سنة (151 هـ - 768 م) وذلك بإقامة مدينة

أخرى على الجانب الشرقي سماها الرصافة ، جعلها مقرا لابنه وولي عهده "المهدي" وشيد لها سوراً وخندقاً ومسجداً وقصراً ، ثم لم تلبث أن عمرت الرصافة واتسعت وزاد إقبال الناس على سكناها. مع اهتمام المنصور بالزراعة والصناعة وتشجيعه لأصحاب المهن والصناعات ، وتأمينه خطوط التجارة والملاحة في الخليج العربي حتى الصين من خطر القراصنة الذين كانوا يقطعون طرق التجارة ، ويقتلون التجار ، ويستولون على الأموال ، وراح قُواده يؤدبون هؤلاء اللصوص. وكثيرًا ما يعود قواده من الغزو في البحر بالغنائم والأسرى حتى انقطعت القرصنة بعد عام 153هـ ، 770 م ، ولقد تم في عهده إعادة فتح مدينة طبرستان عام 141 هـ ، 759 م في بلاد ما وراء النهر. وأعطى المنصور اهتماماً بالغاً بجهة الشمال ؛ فأمر بإقامة التحصينات والرباطات على حدود بلاد الروم. وكانت الغزوات المتتابعة سبباً في أن ملك الروم راح يطلب الصلح ، ويقدم الجزية صاغرًا سنة 155 هـ ، 772 م. وقام المنصور بحملة تأديبية على جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط ، أثر قيام أهلها بمساعدة جيش الروم ، ونقضهم العهد الذي أخذوه على أنفسهم يوم أن فتح الله على المسلمين جزيرة قبرص. وذهب الخليفة المنصور للحج عام 158هـ ، 775 م ، وكان ابنه محمد "المهدي" قد خرج ليشيعه في حجه ، فأوصاه بإعطاء الجند والناس حقهم وأرزاقهم ومرتباتهم ، وأن يحسن إلى الناس ، ويحفظ الثغور ، ويسدد دينًا كان عليه مقداره ثلاثمائة ألف درهم ، كما أوصاه برعاية إخوته الصغار ، وقال: إنني تركت خزانة بيت مال المسلمين عامرة ، فيها ما يكفى عطاء الجند ونفقات الناس لمدة عشر سنوات. مرض المنصور في الطريق ، ونزل قرية قد أفرغها سيدها من أهلها. وأمر حاجبه الربيع بن يونس أن يدخل ويقرأ فدخل ولم يجد شيئا ودخل خلفه المنصور فلم يجد شيئا فأحس في نفسه بوفاته وكتب لابنه المهدي بعض الوصايا. وقبل أن يدخل مكة توفي على أبوابها. ومن الأعمال الجليلة التي تُذكر للمنصور عنايته بنشر العلوم المختلفة ، ورعايته للعلماء من المسلمين وغيرهم ، وقيامه بإنشاء "بيت الحكمة" في قصر الخلافة ببغداد ، وإشرافه عليه بنفسه ، ليكون مركزاً للترجمة إلى اللغة العربية. ولكن المؤسس الحقيقي لبيت الحكمة كمكتبة عالمية هو الخليفة العالم المأمون وفعل مثل ما فعل أبو جعفر المنصور وأبوه هارون الرشيد وقد أرسل أبو جعفر إلى إمبراطور الروم يطلب منه بعض كتب اليونان فبعث إليه بكتب في الطب والهندسة والحساب والفلك ، فقام نفر من المترجمين بنقلها إلى العربية).هـ. واستمرت تلك الديار تحكم بالإسلام (على حد تعبير أستاذنا محمد المنجد في محاضرته عن هولاكو) ، فحفظ المسلمون البصرة وأنشئوا الكوفة وبنوا بغداد وكانت حاضرة العالم ومدينة السلام تم بنيانها في عام أربعين ومائة ، ولم تزل فيها خلافة بني العباس تزداد وتتألق فيها وبنيت دار الخلافة. قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: هل رأيت بغداد؟ قلت: لا. قال: ما رأيت الدنيا. وقال الشافعي – رحمه الله -: ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً إلا بغداد فإني حين دخلتها عددتها وطنا. وقال ابن عُلَيَّه: ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ولا أحسن دعة منهم. وقال ابن مجاهد: رأيت أبا عمر بن العلاء في النوم ، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: دعني من هذا من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة. وقال أبو بكر بن عياش: الإسلام ببغداد وإنها لصيّادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا. وقال أبو معاوية: بغداد دار الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد وصلاة التراويح بمكة ويوم العيد بطرسوس. وقال آخر: أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قائلاً يقول لي في المنام أتنتقل من بلد فيه عشرة آلاف وَلِيٍّ لله – عز وجل -. وهكذا كان

الأئمة فيها وعلى رأسهم الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – وأبو داوود وعبد الوهاب بن علي المالكي وابن جِنِّي النحوي وأبو زكريا الكوفي ، كان فيها أمراء المؤمنين في الحديث والنحو والتفسير وغير ذلك. قال الشافعي – رحمه الله -: خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل .ودخل البخاري بغداد ثمان مرات وفي ثمان مرات وفي كلٍ منها يجتمع بالإمام أحمد – رحمه الله – فيحثه أحمد على الإقامة فيها وهكذا مضت مواكب العلماء. من أجل ذلك كله وجدتني أنعي بغداد وأرثي لحالها وأبكي بدموع الشعر على ما أصابها! وأذكّرها المجد التليد والمنصور والمهدي والهادي والرشيد! عسى الله أن يقيل عثرتها وعثرات الممالك العربية التي كانت يوما جزءا من دار الإسلام تهيمن عليها الخلافة وتطبق فيها أحكام الكتاب والسنة وكان المسلمون آمنين يظهرون شعائرهم وشرائعهم بكل شجاعة!)

ويـــــحَ الـــــدغاول تتـــــرى دون إيـــــذانِ ... وتُفجـــعُ الـــدارَ فـــي سِـــر وإعـــلانِ

وتســـــــتطيلُ ، ولا شـــــيءٌ يُعرقلهـــــا ... وتســـــــتخفّ بألبـــــاب وأذهـــــان

وتســـــــتبدّ بمقهـــــور يُناوئهـــــا ... وتســـتبيحُ الـــورى فـــي كـــل أوطـــاني

وكـــــم تجـــــيّش عُبـــــداناً تؤيـــــدها! ... وكـــــم تضـــــحّي بأجنـــــادٍ وعُبـــــدان!

وللـــــبلاءات - فـــــي الأكبـــــاد - صـــــدمتها ... ولا تُزاحمهـــــا أطيـــــافُ سُـــــلوان

وللمصـــــائب - فـــــي القلـــــوب - مَلهبـــــة ... مثـــل الشـــواظ أتـــى مـــن جـــوف نيـــران

وللعـــــذاباتِ - فـــــي الأرواح - حِصّـــــتها ... ومـــا لنـــا - فـــي البلايـــا - بعـــضُ أعـــوان

ويـــــح الممالـــــك غاصـــــتْ فـــــي تأخرهـــــا ... عـــــن الحضـــــارة عمّـــــتْ جُـــــل أوطـــــان!

حواضـــــرُ الشـــــرق مـــــاذا فـــــي مرابعهـــــا ... مـــــن الضـــــياع يُنـــــاوي كـــــل عمـــــران؟

بـــــالأمس كـــــان لهـــــا عِـــــزٌ وتكرمـــــة ... وكـــــل صُـــــقع حـــــوى كبيـــــرَ بُرهـــــان

وفـــــي الذؤابـــــة (بغـــــدادُ) العِـــــراق شـــــدتْ ... بمـــــا تعـــــاينُ فـــــي أصـــــقاع بُلـــــدان

وغـــــرّد المجـــــدُ فـــــي أرجائهـــــا جَـــــزلاً ... إذ رسّـــــختْ للمعـــــالي خيـــــرَ أركـــــان

وســـــطرتْ كتـــــبُ التـــــاريخ نهضـــــتها ... بكـــــل صـــــدق وإنصـــــافٍ ورُجحـــــان

وكـــــم قصـــــائدَ صِـــــيغتْ فـــــي تصـــــدّرها! ... كـــــل المـــــدائن ، فاقـــــت كـــــل إيـــــوان

والشـــــعرُ يَشـــــرُف ، إذ يُطـــــري تفوقهـــــا ... كـــــأن أغنيـــــة دفـــــتْ بـــــديوان

(بغـــــدادُ) حاضـــــرة الإســـــلام فـــــي زمـــــن ... فـــــاق الـــــذي بعـــــدهُ مـــــن خيـــــر أزمـــــان

أرســـــتْ دعـــــائم علـــــم لا تُضـــــارعها ... دعـــــائمٌ مجـــــدُها رأتـــــه عينـــــان!

كـــــلا ، ولا ســـــمعتْ - عـــــن عزهـــــا - أذنٌ ... إن كـــــان – للنـــــاس - أســـــماعٌ بـــــآذان

أيـــن (الرشـــيدُ) لـــه - فـــي البـــأس - صـــولته ... يُبلـــــي الأعـــــاديْ بـــــإهلاكٍ وإثخـــــان؟

يحـــــج عامـــــاً ، وعامـــــاً لـــــيس يُمهلهـــــم ... حتـــــى يُـــــريح الـــــورى مـــــن شـــــر طغيـــــان

مـــــازال يقـــــتحمُ الخبـــــار منتصـــــراً ... لنشـــــر دعـــــوة إســـــلام وإيمـــــان

لـــــم يـــــألُ جهـــــداً ، ولـــــم يبخـــــلْ بتضـــــحيةٍ ... يرجـــــو الجنـــــان ، فـــــوفى خيـــــرَ قربـــــان

والجنـــــدُ يُولـــــون - بالطاعـــــاتِ - قائـــــدهم ... أنعـــــمْ بهـــــارون مـــــن رأس وسُـــــلطان!

حتـــــى إذا ارتحلـــــتْ عنـــــا خِلافتـــــه ... لـــــم نســـــتطعْ دفـــــعَ ثـــــاراتٍ وعُـــــدوان

مـــــن بعـــــده وجمَـــــتْ (بغـــــدادُ) باكيـــــة ... والـــــدمعُ ضـــــاق بأحـــــداق وأجفـــــان

والمســـلمون - علـــى المجـــد الســـليب - بكَـــوْا ... بكـــــاء مَـــــن ثكلـــــتْ لفقـــــد وُلـــــدان

بكـــــى الجميـــــعُ ، ومـــــا جفـــــتْ مـــــدامعُهم ... وهـــــل يُعيـــــدُ البكـــــا عظـــــيمَ أعيـــــان؟

مضـــــى الـــــروافض بالأمجـــــاد ، مُـــــذ فجـــــروا ... والنـــــاس فـــــاؤوا علـــــى ذل وإمهـــــان

ووطـــــدوا لخلافـــــاتٍ بهـــــا ارتكســـــوا ... فلـــــم يعـــــدْ لمَعـــــين الحـــــق مِـــــن شـــــان

واســـتعذبوا الـــرجسَ يســـري فـــي ضـــمائرهم ... هـــــوىً ، كـــــأنهمُ عُبّـــــادُ أوثـــــان

وروّجـــــوا للضـــــلال المحـــــض فـــــي مـــــلأ ... وأمعنـــــوا - فـــــي التـــــردّي - شـــــر إمعـــــان

وشـــــوّقوا النـــــاس تشـــــويقاً لبـــــاطلهم ... بـــــزور مـــــا اختلقـــــوا ومَحـــــض بُهتـــــان

ســـــب الصـــــحابة والأعـــــلام دَيـــــدنهم ... وشـــــكّكوا فـــــي أحاديـــــثٍ وقـــــرآن

(بغـــدادُ) ثـــوري علـــى الضـــلاّل ، وانتفضـــي ... وقـــاومي البـــاغيَ المســـتعمر الجـــاني

حتـــــى تُعيـــــدي - لنـــــا - الأمجـــــاد باســـــقة ... وحـــــرّري عِـــــزكِ المستأســـــرَ العـــــاني

والله ناصـــــرُ مَـــــن بـــــالطوْع ينصـــــرُهُ ... ســـــبحانه مـــــن جليـــــل الشـــــأن ديـــــان!

بين الأمس واليوم

(ما أجمل أن يربط الانسان بين أمسه ويومه وغده! إنها رسالة شعرية كتبتها على لسان فتىً عانى كثيراً مع عائلته ، وأثر في نفسي جداً مواقف والده معه وطعناته المتلاحقة له ولمشاعره. وأوصيت ذلك الفتى أن يصبر ، فلربما انقلب الحال ، وراجع والده حساباته ، وأدرك أنه جار على ولده هذا. وطلبت من ذلك الفتى أن يُحيطني علماً بالجانب الأكبر من سجل حياته ، وأن يطلعني على القسط الذي يؤهلني لأن أكتب عنه وعن تجربته المريرة تلك. فلعلها تكون قصيدة ذات جانب وعظي أكثر منها ذات جانب نقدي. فكان يحكى حياته لي بكل حزن وأسىً. وما تأثرت بحكاية في حياتي مثلما تأثرتُ بهذه الحكاية المرة العاتية. وإنني إذ أسطر حكاية ذلك الفتى مع أبيه فأنا أنصح لنفسي كأب ، وأنصح لكل والد يُدرك من حقيقة الوالدية ما ينبغي أن يدركه الأب: أن يُعين ولده أو ابنته على برّه ، بدلاً من أن يعينه أو يعينها على عقوقه. وفي البحث المعنون له بـ (ملامح شخصية الأب في القرآن الكريم ، للدكتور رشاد أبو لاشين) جاء فيها: (لنتجول في أعظم كتاب ولننهل من أعظم منهج لنتعرف على أدوار الأب الناجح: التخطيط لمستقبل الأبناء: الأب الناجح يحرص على التخطيط لأبنائه بمستهدفات عالية طموحة تصل إلى تحقيق الريادة والقيادة ويحرص كذلك على نجاح التخطيط: فالأب الناجح يسعى دوماً لنجاح رسالة التربية وتحقق أهدافها في أبنائه فتقر عينه ويحرص على أن تصل التربية إلى مبتغاها وهو الطموح الراقي وهو الريادة والقيادة ؛ وهذا ما ذكره الله تعالى في صفات عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). والإنسان يصبح قرير العين مسرور النفس هنيء البال ، حينما يرى ما خططه لأبنائه قد تحقق في أرض الواقع (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) ، والمستهدف هنا طموح وعالٍ ليس مجرد قيادة لأي مجموعة من الناس بل القيادة لأعلى فئات الناس: المتقين: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). وإبراهيم عليه السلام بروح الأب الذي يحب الخير لذريته يطلب لهم الإمامة حينما أكرمه الله تعالى بها: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً. قَالَ: وَمِن ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). وهنا نتعلم درسًا تربويًّا مهمًّا ، عندما يخبر الله تعالى سيدنا إبراهيم ويعلمه أن الإمامة تحتاج إعدادًا تربويًّا عاليًّا وتربية الفرد على العدل وتحقيقه بين الناس ، ولا تمنح للظالم منهم وكم من أسرة ربت أبناءها على الظلم بسوء التربية وعدم العدل بين الأبناء فتكون النتيجة الحرمان من الإمامة ؛ لذا وجب حسن التخطيط وبذل الجهد وحسن الإعداد والمتابعة حتى تؤتي التربية أكلها وتحقق أهدافها بتربية جيل من الرواد والقادة الذين تقربهم عيون الآباء وتشمخ بهم خير أمة أخرجت للناس. والمربي الواعي يسعى لحماية ذريته من الشيطان الرجيم الذي يسعى لاحتناك الذرية والسيطرة عليها إلا القليل المحصن: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً). والله تعالى يعلمنا تحصين أبنائنا من سلوك الأم الرائعة التي تحصن أبناءها وذريتها من الشيطان الرجيم: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). والأب الناجح منشغل بإصلاح الذرية على الدوام. ولأن الإنسان بطبيعته خطاء ويبتلى برغبات النفس الأمارة بالسوء ووسوسة الشيطان الرجيم وتأثير قرناء السوء فيعتريه الخلل والمعصية والانحراف ؛ لذا وجب دوام إصلاحه من المربي الواعي ببذل الجهد التربوي وبالاستعانة بالله تعالى. يقول الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ). والمربي الواعي يجب أن يكون واقعيًا ولا يتوقع أنه يربي جيلاً من الملائكة الأطهار الأبرياء ، ولكن خلال مشوار التربية سيجد الخلل الذي يحتاج إلى تقويم وسيجد العيب الذي يحتاج إلى إصلاح ؛ لذا فالتربية تنقسم إلى عمليتين كبيرتين: عملية تحلية بغرس القيم الصالحة والسلوكيات الحسنة ، وعملية تخلية بترك وتنحية السلوكيات السيئة ؛ لذا فهي عملية إصلاح مستمر ينشغل الأب بها في سلوكه ووسائله التربوية ، وكذلك في دعائه واستعانته بربه (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)هـ. وإن كنت أقول بهذا وأسوق النصيحة مُرة هكذا فليشفع لي سمو الغاية وعلو القصد وهو النصح! ومتى كانت النصيحة حانية وادعة؟ أننا مهما اخترنا الألفاظ اللطيفة والوقت المناسب والمكان المناسب للنصيحة ، فإن النصيحة في عمومها تأتي على غير مراد النفس ومن هنا تأتي النفرة! يقول الأستاذ محمد المنجد تحت عنوان: (النصح) ما نصه: (إن من محاسن دين الإسلام أنه جاء بالنصيحة بين المسلمين ، ونصح المسلم للمسلم ، وهذا الأدب العظيم والشعيرة الإسلامية طالما غابت عن كثير منا ، فلم يبذل كثير من الناس النصح ، ولم يستمع المنصوح ، فضاعت النصيحة بين التفريط فيها ، وبين الانقياد للحق الذي يأتي فيها ، وهكذا إذا رأيت يا عبد الله أسباب الانحراف والأخطاء في الواقع رأيت أنه يعود إلى التقصير في هذه الفريضة الإسلامية ، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل من حق المسلم على المسلم أن ينصح له ، فقال: (حق المسلم على المسلم) ، وذكر منها (وإذا استنصحك فانصحه) أو (فانصح له). إن هذه النصيحة التي تعني الأمر الخالص ، فالعسل إذا نصح أي صار خالصاً ، وكذلك اللبن ، فالنصيحة أن تصفي وتخلص من الشوائب ما تريد أن تقوله للمنصوح ، إن النصح يلم شعث المسلم من قبل أخيه المسلم ، إنها إرادة الخير للمنصوح ، وقد قال هود عليه السلام: وَأَنَاْ لَكُمْ ناصح أمين ، وقال نوح: وَأَنصَحُ لَكُمْ ، وكان كثير الدعوة عليه الصلاة والسلام ، إنها وظيفة الرسل أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ، إنه الباب العظيم الذي يجعل الإنسان يثق بأخيه المسلم حتى أن إبليس لما أراد أن يغوي أبانا آدم وأمنا حواء جاء بطريقة النصيحة ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ! والله عز وجل قد جعل النصيحة حيلة العجزة وعذر القاعدين إذا اضطروا ورافعاً للحرج عنهم ، فقال: لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ ، ليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا ماداموا معذورين في القعود. كيف ضاع حديث النبي صلى الله عليه وسلم بيننا عندما قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم. لقد عبر عن الدين بأنه النصيحة ؛ لعظم منزلة النصيحة في الدين ، كما قال: (الحج عرفة) لعظم عرفة في الحج ، والنصيحة لله هي الإيمان به وأسمائه وصفاته وطاعته سبحانه ، وطاعته واجتناب معصيته ، والنصيحة لكتاب الله الإيمان أنه كلام الله ، والعمل بما فيه ، والنصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، والنصيحة للأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق وعدم طاعتهم في الباطل وإرشادهم إلى الصواب، وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).هـ. ومن وجهة نظري أن الوالد أحق بها! وفي النصح للوالدين أنشدت من شعري:)

وصـــى المليـــكُ بطاعـــة للوالِـــدِينْ ... مُشـــتقة مـــن طاعـــة الله المتـــينْ

وإذا الوصـــية خولفـــتْ وترهلـــتْ ... وتبعثـــرتْ فـــي منطـــق المتمســـلمين

مـــن كـــل والـــد فتيـــةٍ يعصـــي الإلـــ ... ـــه ، ويهتـــدي بضـــلالة المتـــألهين

ويحـــث فتيتـــه علـــى أن يُـــذعنوا ... للجاهليـــة فـــي عِـــداد الصـــابئين

ويقـــول: يـــا أبنـــاءُ كونـــوا غايـــة ... فـــي اللـــين ، واعتبـــروا بمـــن يتصـــلبون

ودعُـــوا التمســـكَ والتمـــذهبَ فتيتـــي ... مـــاذا جنـــى المستمســـكون القابضـــون؟

أبتـــاه: هـــل تـــدري حقيقـــة مـــا تقـــو ... لُ؟ وهـــل تعـــي أمـــر الكـــلام وتســـتبين؟

أم أنـــــه حقـــــاً تغشـــــاك الهـــــوى ... وكـــذلك أعمـــاك اللجـــاج مـــع الأنـــين؟

أم أن حرصـــــك زاده الحـــــزمُ جـــــوىً؟ ... أم يـــا تـــرى قـــد ضـــاق بالقلـــب الحنـــين؟

أبتـــاه قلـــتُ لـــك: اتبعنـــي واســـتقم ... فالإســـتقامة ضـــربُ قـــوم مُفلحـــين

وأطـــع نبـــي الله ، لا تعـــص الهُـــدى ... والـــزم كتـــاب الله ذاك المســـتبين

وحّـــد إلهـــكَ فـــي العبـــادة يـــا أبـــي ... ثـــم اتبـــع فـــي ذي الـــدنا هَـــدي الأمـــين

ودع الشـــياطين التـــي عُبّـــدتْ وقـــدْ ... غصـــبتْ عقـــول القـــوم فـــي دنيـــا العَمـــين

جهـــراً تعـــاظم أمرهـــا وضـــلالها ... واســـتعبدتْ مـــن خلـــق رب العـــالمين

وحّـــد إلـــه الكـــون فـــي عليائـــه ... تصـــبحْ بـــذلك فـــي عِـــداد العابـــدين

وظننـــتُ أنـــك ســـوف تســـمع مـــا أقـــو ... لُ ، وتهتـــدي وتحـــب كـــل المهتـــدين

لكـــنْ أراك نهرتنـــي وســـخرتَ مِـــن ... قـــولي إليـــك ، وقلـــت لـــي: متخبطـــون

ورددتنـــي ، وزجرتنـــي ، وطردتنـــي ... مـــن بيتـــك الفينـــان طـــرد المـــارقين

وهمزتنـــي ، ولمزتنـــي ، وأســـأت لـــي ... ورجمتنـــي ، ولعنتنـــي ، كالمُـــذنبين

ومضـــيتَ تطـــرد رفقتـــي مـــن بيتنـــا ... طـــردَ الـــذباب ، وقلـــتَ عـــنهم: خـــائبون

وصـــببتَ فـــوقي جـــام ضِـــيقك والـــردى ... وكـــأنني عِربيـــدُ قـــومٍ طائشـــين

ومضـــيتَ تمســـخ صـــورتي بفظاعـــةٍ ... وكـــأنني فـــي النـــاس إبلـــيسُ اللعـــين

وذهبـــتَ عنـــد الأهـــل تقتـــل سُـــمعتي ... وتقـــول: ضـــلّ طريقـــه فـــي البائـــدين

وقفلـــتَ بـــاب البيـــت تـــزعم أننـــي ... قـــد ضـــمني بهـــمُ الهـــوى كالعـــابثين

ومنعـــتَ عنـــي الـــزادَ ذلـــك أننـــي ... أعلنـــتُ توحيـــدي بقـــوم جـــاهلين

وجعلتني في البيت سُخرية الفنا ... وظللتُ محبوساً ببيتك كالرهين

وأثرتَ حولي من زوابع فتنةٍ ... وبذرتَ فوقي نار إعصار ثخين

كسّرتَ كل وسائلي ، يا سوأتي! ... وحرقتَ أسفاراً بها العلم الثمين

أتريد لابنك أن يكون كجلمدٍ ... لا صوت ، لا إعراب يُسمع أو أنين؟

فلسوف أجأر للمليك لتهتدي ... وتكُفّ عني في الورى حتى أبين

أتريد لابنك أن يكون مُصمماً ... يبني يُشيّد في متاهات السنين؟

أحرى به إن كان ينصح نفسه ... أن يستبين طريق قوم مُجرمين

ولئن بنى توحيده بكفاحه ... نعم الغلام ، وإن يُرى في الأسفلين!

وكذاك يبني زوجه متمثلاً ... ومطبقاً هَدي الصحابة أجمعين

وليستعن بالله عند بنائه ... فالله يرفعُ في الورى مَن يستعين

أتريد لابنك أن يكون معالجاً ... وهو المريض بعلةٍ لا تستكين؟

ماذا يُعالج في الورى يا والدي ... والجاهلية دنستْ منه الجبين؟

أتريده بعيادةٍ فيها الرقيـ ... ـق الأبيض الممقوت في الوادي الحزين؟

ويدسّ في أحشائه أموال قو ... مٍ بائسين مشرّدين ممزّقين؟

أتريد لابنك أن يكون مهيبَزاً ... متخنثاً ، ويسرك الشعر الرصين؟

وتسرّك الحظاظة السوداءُ في ... يده ، وفوق الجيد زهرُ الياسمين؟

ويسرّك الكاروهُ والجنز اللذا ... نِ أراهما سَمتاً لجُل الماجنين؟

ويسرك الأصحاب في همجيةٍ ... يأتون دارك مائعين مُخنثين؟

يئدون إبنك والبناتِ جهالة ... وأنا الضحية في عموم الهالكين!

وإذا السجائرُ يحتويني سُمها ... وغداً ضياعٌ؟ ذاك درب الغافلين

وتريد مني أن أبرّك وقتها؟ ... هيهات أن يُجنى من الصبار تِين!

أتريـــد لابنـــك أن يعـــيّن ظالمـــاً ... لتـــرجّ صـــولته قلـــوبَ الآمنـــين؟

ليزيـــل شـــيئاً إســـمه التوحيـــدُ مِـــن ... أرضٍ وعـــن قـــوم كـــذاك موحّـــدين!

ويُـــذيقهم كـــأس الحِمـــام تشـــفياً ... ويقـــول عـــنهم بعـــدها: (متهوســـون)

ويـــذبّح الأطفـــالَ ظلمـــاً هكـــذا ... ويُهتّـــكُ الأعـــراضَ قســـراً والجنـــين

ويُحـــرّق الأبـــدانَ يشـــوي عظمهـــا ... ويُثيرهـــا فـــي القـــوم فتنـــة قـــاهرين

ويُيَـــتّم الأفـــراخ ، يقتـــل نَســـرهم ... ويُعـــذب النســـوان قهـــراً والبنـــين

ويُـــدمّر البلـــدان باســـم الخيـــر ، بـــل ... ويُبيـــد ديـــن الله والنـــور المبـــين

ويمكّـــن الكفـــار والفجـــار والضـــ ... ـــلال جهـــراً مـــن رقـــاب المـــؤمنين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مفننـــاً ... لتـــراه فـــي الأصـــنام وضـــاح الجبـــين؟

لتـــراه يفحـــش باللســـان وبـــالغرا ... م وبـــالفؤاد ، ويختفـــي الســـر الـــدفين!

لتـــراه لـــثم كلبـــة مِلـــك الكـــلا ... ب جميعهـــا ، وتقـــول قبلـــة عاشـــقِين

وتـــراه داعـــب صـــدرها ، ويلفهـــا ... متنـــاغميْن بكـــل دُعـــر الـــداعرين

وينـــال مـــن شـــيطانه نيشـــانه ... ونعيمـــه والمـــالَ حينـــاً بعـــد حـــين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مُدرْوشـــاً ... يهـــذي: يُضـــل النـــاس ردحـــاً مـــن سِـــنين؟

شـــبَحاً تـــراه مُعممـــاً ومُكـــوكلاً ... وبـــدا بوجـــهٍ كالنســـا ، تعـــس الخـــدين!

ومضـــى يُـــوالي كـــل شـــيطان ونـــا ... دى فـــي الـــورى: هيـــا اركعـــوا للظـــالمين!

لا فـــرق بـــين هرائـــه ووقاحـــة الشيـــ ... ـــيطان إلا فـــي التســـلط باســـم ديـــن

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مُرابيـــاً؟ ... ورِبَـــاه هـــل يكفـــي العيـــالَ البائســـين؟

ويكُـــف حاجـــة زوجـــةٍ أنانـــةٍ ... ليســـت تقـــول: رضِـــيتُ ربَّ العـــالمين

ويســـد مؤنـــة أســـرةٍ طماعـــةٍ ... لا تكتفـــي بـــالعيش عـــيش المُتـــرفين

وأبـــوهمُ والحبـــلُ يلفـــحُ جِيـــدهُ ... والأم تضـــرب سَـــوْطها كـــالمجرمين

قـــادت عِنـــان جوادهـــا بجهالـــةٍ ... نحـــو الضـــياع ، ونحـــو درب الهـــالكين

وإذا ارتشـــى تـــأتي تقـــول: (بـــراءة) وتقـــول: يـــدخل جنـــة ، وأنـــا الضـــمين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مؤلفـــــاً ليحقـــق الأربـــاح يُرضـــي العـــاهرين؟

ليصـــــور الإفـــــلاس دون تعفـــــفٍ وكـــذاك يُعْلـــي رايـــة المتبجحـــين!

ويعـيش يكتـب مـا بـه يُرضـي الهـوى وكـــذا ذئابـــاً فـــي الضـــلالة نـــاعقين

أدب الجهالـــــة والضـــــياع إذن أبـــــي أدب الشـــواطئ والمزابـــل والســـفين!

أدب الحظايـــــا والمطايـــــا والخنـــــا! ورقيـــعُ أحـــوال ، وهـــزلُ مـــراهقين

ويظـــل يســـبح فـــي بحـــور فســـوقهم ومُجـــونهم ، والأمـــرُ فـــي كـــدر وطـــين

باســـم الفنـــون تـــراه يمـــلأ ســـاحة ومكانـــة فـــي حانـــة المُتفـــرعنين

مـــلأوا الزوايـــا والحواضـــر بالـــدجى وتمحـــورت فـــي القـــوم ريـــحُ الفاســـقين

وإذا ســـــعى بيراعـــــه ولبابـــــه ومِـــــداده ليُنـــــددنْ بالخـــــارجين

ويقـــول: لا ، للهـــزل لا ، للظلـــم لا للعُهـــر لا ، للجاهليـــة لـــن ألـــين

فـــإذا ذيـــولٌ خلفـــه تغـــري بـــه وتقـــول: هـــذا رأسُ كـــل المفســـدين

وإذا الكـــــلامُ تخطـــــه ببراعـــــةٍ ومهـــارةٍ أيـــدي البُغـــاة الشـــامتين

وإذا المَنـــون تجهـــزتْ ، وإذا الهُمـــا مُ بهـــا يـــذوق صـــنوفَ كيـــد المـــاكرين

وإذا المَـــرارُ بحرقـــة ، وإذا الجـــرا حُ تذيبـــه ، ونـــداؤه: هـــل مـــن مُعـــين؟

وأخ العقيـــدة صـــاحَ: صـــابرْ واصـــطبرْ لا تمـــتعضْ ، إن القـــدير هـــو المُعـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مخنثـــــاً حتـــــى يُمتّـــــع جوقـــــة المتنعّمـــــين؟

لـــيُعلم الفتيـــاتِ كيـــف تحـــب ، أو تنســاق ، أو كيـف الطريـق إلـى الخـدين؟

حتـــى تفهـــم كـــل حـــوا أن تحـــ ـــب ، وإن بـــدتْ بـــالله حقـــاً تســـتهين

وتـــراه مـــرذولاً ، ويـــزعم أنـــهُ يمحـــو همـــوم البائســـين العاشـــقين

ويظـــل تأتيـــه الرســـائلُ مـــن جميـ ـــع بقـــاع جوقـــة جـــائعين مـــدمّرين

ويظـــل تعرفـــه الحواضـــرُ والبـــوا ... دي والمـــدائنُ والمقـــابرُ أجمعـــين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مـــدرباً ... لـــيُعلم الأقـــوام نهـــج الآثمـــين؟

لـــيُفهم الغِلمـــان فـــي الأمصـــار كيـــ ... ـــف الهـــزل ، كيـــف هتـــافهم للاعبـــين؟!

ويعلـــم الهـــدّاف كيـــف يصـــوبنْ ... ضـــرباتِه والـــرمحَ فـــي الـــركنِ اليمـــين؟

ولتســـلم الأصـــقاع بالأهـــداف والهـــ ... ـــداف والألعـــاب ردحـــاً مـــن سِـــنين

وإذ تـــرى فـــوزاً ، فأبشـــر يـــا أبـــي ... بمكافـــآتٍ ، ســـوف يمنحهـــا القـــرين

لتقـــول: تربيتـــي وخـــالصُ دعـــوتي ... ولـــدي وشـــبلي وانظـــروا ذاك العَـــرين

ربّيتـــــه ، وشـــــملته برعـــــايتي ... هيـــا اجعلـــوا للشـــبل كـــأس الفـــائزين

وجـــزاكَ عنـــي الله خيـــراً يـــا فتـــى! ... فلأنـــت نعـــم الشـــبل والولـــدُ الأمـــين!

ولـــئن قضـــيتُ فســـوف تحمـــل عـــبء إخـــ ... ـــوتك الصـــغار الكـــادحين الطيبـــين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مهوســـاً ... طلابُـــه فـــي كـــل وادٍ يلهثـــون؟

ويعـــب أمـــوالاً بـــدون هـــوادةٍ ... أمـــا العيـــالُ فمُجبـــرون ومُكرهـــون

ويعـــيش يلـــوي عابثـــاً أعنـــاقهم ... ويعـــيش كـــلٌ صـــاغرين مُكبلـــين

وإذا تجاســـر واحـــدٌ مـــنهم وقـــال: ابنـــي ... أعلمـــــه ، فويـــــلٌ للـــــرهين

وإذا المهـــوّس صـــار قصـــاباً يذبـــ ... ـــحُ خلســـة أفـــراخ قـــوم نـــائمين

ويُخـــرّج الأشـــبالَ قصّـــابين أو ... متـــآمرين وهـــازلين وصـــابئين

فالجاهليـــة سَـــمتُهم ، والمـــالُ حقـــ ... ـــا زادُهـــم ، ســـلكوا دروب الضـــائعين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مصـــوراً ... حتـــى يصـــور أمســـيات المُطـــربين؟

وكـــذا يُصـــور عابثـــاتٍ ماجنـــا ... تٍ فـــي أمـــاكن خصصـــتْ للعـــابثين

وكـــذا يُصـــور فـــي الســـواحل ســـاقطا ... تٍ مارقـــاتٍ: بـــالألوف وبـــالمِئين

إنْ فـــي رداء البحـــر تلهـــو هكـــذا ... تلـــك العـــذارى ، كيـــف يلهـــو الكـــافرون؟

وكـــذا تـــرى الشـــهم الهُمـــام يصـــور الســـ ... ـــقطات مـــن أجـــواء ســـاحة (عابـــدين)!

ويظـــل يرســـو فـــي حضـــيض ضـــلالهم ... باســم المُجــون ، وباســم فــن الصــاعدين

أســـــتغفر الله العظـــــيم مِـــــن الهـــــوى ... بـــل يهـــبط المـــأفونُ فـــي قـــاع الفتـــون

أتريـــــد لابنـــــك أن يُعَـــــيّن مقرئـــــاً ... ليُطـــــوِّع الفرقـــــان للمُتجبـــــرين؟

يتلـــــو كـــــلام الله فـــــي دنيـــــا أنـــــا ... سٍ جـــــاهلين مُعلمَنـــــين ومُعرضـــــين

يهتـــاج فـــوق التخـــت بالآيـــات ، والآ ... يـــاتُ تلعنـــه ، بلـــى ، واللاعنـــون

ويقـــول رأسُ القـــوم: كـــرّرْ بانســـجا ... مٍ وانشـــــراح وافتعـــــال المُـــــدمِنين

ويهـــز فرعـــونُ الجماعـــة رأســـه ... ويظـــن خاصـــة نفســـه فـــي المُخلصـــين

وهـــو الـــذي مـــلأ البيـــاديَ بـــالكرا ... مِ الأبريـــــاء الأخبيـــــاء الصـــــالحين

ومضـــى يقـــول: أنـــا الـــذي بيـــديَّ أرْ ... فـــعُ زمـــرة ، وكـــذاك أخفِـــضُ آخـــرين

ويقـــول عـــن علـــم الأماجـــد أنـــهُ ... فـــي ســـجنه كالكلـــب يحيـــا كـــالرهين

والوصـــفُ وصـــفك يـــا طويغيـــت البغـــا ... ثِ ، فـــلا تغـــار علـــى حَريمِـــك والبنـــين

فـــي ظلمـــه ، فـــي جـــوره ، فـــي حيفـــهِ ... فـــي غشـــهِ قـــد فـــاق كـــل المُلحـــدين

تهديـــــده ووعيـــــده ونفيـــــر صـــــو ... تِ كلامـــــه يطـــــوي جُمـــــوع الخـــــائفين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون مـــــدافعاً ... بئِـــــدُ العدالـــــة ، يُنقـــــذ المتـــــآمرين؟

وإذا رأيـــــت دفاعـــــه ببســـــالةٍ ... يُغشـــى عليـــك ، تظنـــه نعـــم الأمـــين!

وهـــو الـــذي طمـــس الحقيقـــة عامـــداً ... مُتعمـــداً فـــي شِـــرعة المتهـــالكين

ومضـــى يقـــول: نصوصُـــنا فـــي عـــدلها ... فاقـــت شـــريعة كـــل عصـــر ، كـــل ديـــن

أثنـــى علـــى قـــبح الفنـــا ، (قانونـــه) ... هـــو فـــي الحقيقـــة نهـــجُ كـــل الغاصـــبين

طرحـــوه فـــوق رقابنـــا ، وبقـــاعُهم ... هـــذي قِفـــارُ الخـــائبين الخاســـرين

لـــو نِيـــل مِـــن أقواتهـــا لتظـــاهرتْ ... وإذا قلاهـــا العـــدلُ فـــالنوم المتـــين

أتريـــــد لابنـــــك أن يكـــــون كبيـــــرهم ... وتحوطـــــه أســـــراب قـــــوم تـــــافهين؟

فـــي النـــاس يقضـــي بـــالهوى وبرأيـــه ... ومِزاجـــــه وبشـــــرعة المتـــــأرجحين

وتحوطـــه فـــي النـــاس أقـــوامٌ يجيـــ ... ـــدون التزلـــف والتمسّـــح والـــرنين

ويـــدور مِـــن دار إلـــى دار ، ومِـــن ... صُـقغ إلـى صُـقع ، ومـن ديـن لـدين

وهـــو الكبيـــرُ علـــى قطيـــع معـــرضٍ ... يـــأوي إليـــه كجوقـــة المتـــزلفين

خلـــف الأثـــيم تزلفـــوا وتعبـــدوا ... وإن اشـــتكى فـــإذا بهـــم يتـــألمون

فـــي كـــل وقـــتٍ قـــدّموا نســـك العبـــا ... دة والضـــراعة ، شـــابهوا المُتعبـــدين

قـــالوا: نمـــوت فـــداك يـــا مألوهنـــا ... أنـــت المليـــكُ ، ونحـــن نحـــن العابـــدون

وتنوعـــوا: مـــا بـــين فـــوج حـــارس ... وهنـــاك فـــوجٌ يُشـــبه المتســـولين

هـــو يبـــذل الـــروح العزيـــزة والضـــنا! ... فـــي خدمـــة الطـــاغوت لا يتســـاهلون!

وإذا مضـــى الشـــيطان نحـــو عبيـــده ... فهـــو النجـــاة لجوقـــة المتحـــاربين

ومضـــى يـــوزّ بجنـــده ورجالـــه ... وتعينـــه مجموعـــة المتحـــذلقين

مـــا بـــين عـــالم جوقـــةٍ وحثالـــةٍ ... وبطانـــةٍ وعصـــابة المُتشـــدقين

مـــردوا علـــى صُـــنع الكـــلام ونســـجه ... هـــم فـــي الحقيقـــة حِفنـــة المتســـكعين

مـــا بـــين تـــاجر بدعـــةٍ وعمالـــةٍ ... وتحلـــل ، وشـــراذم المتقـــامرين

مـــا بـــين ســـاقطةٍ وهازلـــةٍ تصفـــ ... ـــقُ ، ثـم تـرقص وسـط جوقـة عـازفين

أخـــذتْ بكـــل سَـــخافة تئـــد الحيـــا ... وبكـــل عهـــرٍ فـــي تلافيـــف المُجـــون

وتقـــول للشـــيطان أنـــت مَلاذنـــا ... ومُجيرنـــا مـــن فرقـــة المتعصـــبين

ويـــردد الشـــيطانُ مـــا قالـــت ويفـــ ... ـــخرُ أنهـــا أســـمتهمُ المُتشـــددين

هـــي عـــادة الضـــلال دومـــاً يهرفـــو ... ن بكـــل شـــئ ، لـــيس فـــيهم عـــالمون

ويُشـــرّدون لأجـــل هـــذا مَـــن يُنـــا ... وئهـم ، فليسـوا فـي الحقيقـة مُنصـفين

مازالـــت الأعنـــاقُ تقطـــع عنـــوة ... وغـــدا الأشـــاوسُ بالـــدماء مضـــرّجين

أتريـــد لابنـــك أن يكـــون مصـــففاً ... متمرســـاً ليصَـــفف الشـــعر الـــدجين؟

تأتيـــه كـــل مطيـــةٍ حتـــى يصفـــ ـــف شـــعرها بطريقـــة المُتحضـــرين

وهنـــاك تلقـــي ثوبهـــا ، وهنـــاك يظـــ ـــهرُ شـــعرها ببراعـــةٍ للنـــاظرين

ويـــدور فحـــل كالأتـــان يشـــمها ويضـــمها فـــي رقـــة المتظـــارفين

ويمُـــد فـــي دعـــةٍ يديـــه إلـــى معـــا طـــف جيـــدها وجيوبهـــا كـــاللاهثين

وتقـــول: كفكـــفْ ثـــورة فيقـــول: هـــ ـــلا تـــأذنين وتبـــدئين وتـــدفعين

وبعيرهـــا خلـــف الســـتار مجامـــلٌ ويقـــول: نعـــم ملـــونٌ ومصـــففون!

إن البعيـــر ليســـتحي مـــن فعلـــه وتقـــول: كيـــف يروقنـــا الهـــزل المُشـــين

عجبـــاً قتلـــتم هـــديكم وإبـــاءكم وحيـــاءكم عمـــداً بـــدعوى الناهضـــين

أيســـرك ابنـــك فـــي الحواضـــر شـــاعراً ليقـــول شـــعراً فـــي العُتـــاة الجـــائرين؟

ويُســـطر التفعيـــل فـــي أمجـــادهم ويَخـــص بالشـــعر البُغـــاة الخـــالفين

ويُثيرهـــا طينيـــة عصـــبية للعُـــرب ردحـــاً ، ثـــم للمُســـتعربين

ويجنـــد الأشـــعار تخـــدم بـــاطلاً متعاظمـــاً فـــي عـــالم المتصـــارعين

وإذا ارتقـــى فـــي شـــعره فهـــي الكتـــا بـــة للأغـــاني ، حِســـبة للمـــائعين

وإذا القصـــائد حَللـــتْ وتحللـــتْ فـــي حانـــة المتجاســـرين الشـــاربين

وتناولـــت عشـــقاً وهـــزلاً وانحـــلا لاً وانصـــياعاً فـــي مهـــاوي الســـاقطين

وإذا العـــذارى فـــي مخـــازي شـــعره وإذا التشـــبب فـــي دروب العاشـــقين

وتحـــب كـــل حبيبـــة معشـــوقها لقـــراءةٍ فـــي شـــعر مَخبـــول ضـــنين

ضـــنتْ يـــداه عـــن الفضـــيلة والهُـــدى ومُصـــيبة الأقـــوام شـــعرُ المغـــرمين

بخلـــتْ يـــداه عـــن المبـــادئ والعُـــلا لمّـــا ترســـخْ قيمـــة للقـــارئين

لكـــنْ أبـــت إلا الكتابـــة فـــي القبيـــ ـــح مـــن الكـــلام لترضـــيَ المتـــذوقين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور واقـــع الـــ ـــجيل الممـــزق تحـــت ســـوط القـــاهرين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور شـــرك قـــو ... مٍ يـــذهبون إلـــى قبـــور الصـــالحين

وأبـــت كـــذلك أن تصـــور ســـاحة ... حمـــراءَ مـــن فحـــوى دمـــاء مجاهـــدين

لكنهـــا ذهبـــتْ تصـــور حانـــة ... بلهـــاء تلهـــث فـــي لهـــاث الأســـفلين

ذهبـــتْ كـــذلك فـــي الســـواحل جهـــرة ... لتصـــوّر الإفـــلاسَ فـــي المتهتكـــين

ومضـــت كـــذلك فـــي المســـارح تنثنـــي ... طربـــاً ، ويُفرحهـــا تغنـــي المفســـدين

ومضـــت كـــذلك فـــي الشـــوارع تزدهـــي ... وتقـــول: مـــا هـــذا الجمـــالُ المســـتبين؟!

غلـــت يـــدا مَـــن كـــان هـــذا شـــعره ... يـــا ويلتـــي: ربـــاه عفـــوك يـــا متـــين!

أتريـــد لابنـــك أن يعـــيش ملوّثـــاً ... بالجاهليـــة فـــي خِضَـــمّ الجـــاهلين؟

متعبـــداً شـــهواته ، ومؤلهـــاً ... نزواتـــه فـــي عـــالم المتـــرهلين

متفيـــأ ظـــل المهانـــة والأســـى ... ويغـــط فـــي نـــوم عميـــق مســـتكين

ويبـــدد الأمـــوال فـــي أهوائـــه ... وتشـــده أعفـــانُ دنيـــا الحـــالمين

وإلـــى البـــوار مصـــيرُه ، يـــا ســـوأتى! ... أتريـــده كالجعـــدِ وســـط الجاحـــدين!

قـــل لـــي بربـــك يـــا أبـــي: هـــل نحـــن حقـــ ... ـــاً لـــو أتانـــا موتنـــا متـــأهبون؟

ولـــئن ســـألتك عـــن حيـــاة عبيـــد جمـــ ... ـــع بـــائسٍ يحيـــا مـــع المتخلفـــين

أنـــا لســـت أعنـــي عـــن حضـــارة عصـــره ... إنـــي لأقصـــد: هـــدي رب العـــالمين

ولـــئن ســـألتك عـــن عقيـــدة قومنـــا ... القـــومُ كـــانوا مُخلصـــين مُوحّـــدين

ولـــئن ســـألتك عـــن حقيقـــة دارنـــا ... الـــدارُ كانـــت دارَ قـــوم مـــؤمنين

مـــا بالهـــا اليـــوم انـــزوتْ ، وتـــدهورتْ ... لا تســـتقيم علـــى طريقـــة مســـلمين

والقـــوم غاصـــوا فـــي جهالـــة هـــزلهم ... وتتبعـــوا نهـــج العُتـــاة المُشـــركين

ولـــئن أردت صـــراحة فـــي لفظتـــي ... عمـــلاً وقـــولاً: قلـــتَ: صـــاروا مـــارقين

والقـــوم إذ جحـــدوا معـــالم هـــديهم ... فحقيقـــة: صـــنوانِ هـــم والفاســـقون

والـــدارُ قـــد طمعـــت ذئـــاب الأرض فـــي ... خيراتهـــا ورجالهـــا المتفـــرنجين

والهَـديُ ولـى فـي سـراديب الخنـا ... ومضـت كـذلك زمـرة المتـدينين

وتمـرّق الفرقـان ، لـم يَعـرفْ لـه ... أحـدٌ طريقـاً فـي بقـاع الخـائنين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان أحـ ... ـجبة وتعويـذاتِ حفـظٍ للبنـين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان أو ... راداً وتفعـيلاتِ شـعرِ مُشـعْوذين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان حـ ... ـلاً للمشـاكل خلـف مَـن يتـألهون

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان وعـ ... ـظاً بالمحافـل ، قـلّ مَـن يسترشـدون!

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان أن ... نـدعوْ بـأرض الله ، نسـعى سـائحين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان مـأ ... ثـوراتِ ذكـرٍ عبـر أحـداث السـنين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان شيـ ... ـئاً مـن قمـاش قـد يلـف علـى الجبـين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان أنـ ... ـقبة النسـاء ولحيـة المستمسـكين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان نصـ ... ـحاً واحترامـاً ، ثـم وعـظ الظـالمين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان هـد ... مـاً فـي قبـور الأوليـاء الصـالحين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان تـو ... حيـداً ، وغـض الطـرف عـن قـوم عمـين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان تمـ ... ـزيق العلائـق بـين شـتى الأقـربين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان تـر ... بيـة النفـوس ، ولـو بـأرض اللاعبـين

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان تقـ ... ـطيعَ التصـاوير التـي قـد تسـتبين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان تحـ ... ـطيمَ التماثيـل التـي مـاء وطـين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان كحـ ... ـلاً للعيـون يَزينهـا ، نعـم العيـون!

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان فلـ ... ـسفة أراهـا فـي الحقيقـة لا تعـين

وغـدا فريـقٌ يعـرضُ الفرقـان نسـ ... ـخ مصـاحف ، هـل مـنكمُ مَـن يقـرأون؟

وغـدا فريـقٌ يعـرض الفرقـان طبـ ... ـع شـرائطٍ ، هـل مـنكمُ مَـن يسـمعون؟

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نشـــ ـــر صـــحائفٍ ، هـــل أنـــتمُ تتصـــفحون؟

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تعـــ ـــرية التشـــيّع والخـــوارج أجمعـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــد ميـــــراً لتمثـــــالٍ بقـــــوة قـــــادرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــزين العواطـــف بالقصـــائد والمَنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صـــو مـــاً ، ثـــم أضـــحِيَة بعيـــد العابـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ذكـــ ـــر ســوالف الآســاد – دومــاً – والعَـرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان دحضـــاً لافتـــــراءاتِ النصـــــارى الصـــــابئين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أقـــ ـــصوصاتِ كُتـــاب بجهـــلٍ يكتبـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فـــي ثقـــــةٍ ردوداً لا دعـــــا المُستشـــــرقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ـــسيراً لآي الـــذكر فـــي هـــذي العِـــزين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تكـــ ـــفير الخـــوارج: ســـابقاً واللاحقـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ضـــر بـــاً فـــي الصـــفوف ، ويـــا لهـــم مـــن مـــاكرين!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــريراً لأرض القـــدس والأقصـــى الســـجين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ثـــو رة مـــؤمنٍ فـــوق العُتـــاة المَـــارقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان دعـــ ـــوة مخلـــصٍ فـــي غيـــر أرض المســـلمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ظعـــ ـــناً فـــي ســـبيل الله ، نعـــم الظـــاعنون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان جمـــ ـــع تبرعـــاتٍ ، قـــلّ مَـــن يتصـــدقون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حمـــ ـــل الســـيف فـــي وجـــه الطغـــاة الغاصـــبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أســـ ـــئلة تهـــادى ، قـــلّ مَـــن يستبصـــرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان خطـــ ـــبة واعـــظٍ فـــي عـــالم المُســـتكبرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــويع النصـــوص لخدمـــة المتجبـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فبـــ ـــركة النصـــوص لخدمـــة المتعظمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــفيه الجماعـــات التـــي لا تســـتكين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رشـــ ـــاشاً وقنبلـــة كصـــناع المَنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرض الفرقـــان سلـــ ـــعة تـــاجر ، يتجاهـــل الـــدر الثمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زمـــ ـــجرة الأســـود يلفهـــا صـــحنُ العَـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ـــسيق الأئمـــة والصـــحابة والأمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان: يقـــ ـرأ ســورة ، أو مــن (ريــاض الصــالحين)

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مـــوّ الاً لعكـــا ، أو لحيفـــا ، أو جنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــقيح الكثيـــر مِـــن المؤلـــف مِـــن سِـــنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــشئة الصـــغير مِـــن البنـــات مَـــع البنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مِســـ ـــواكاً وجلبابـــاً وعـــود الياســـمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان مســـ ـــكاً للرجـــال وللنســـاء وللبنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أدْ عِيـــة ، وأحزابـــاً تـــردّدُ كـــل حـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان إشـــ ـــهار الرمـــاح لـــردع كـــل القـــاهرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان وعـــ ـــظاً حـــول أحـــوال المقـــابر والشـــجون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زجـــ ـــراً فـــي وريقـــات علـــى التقـــوى تعـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حبـــ ـــاً للبرايـــا ، ثـــم تـــذكيراً بـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ـــديع الجميـــع ، بـــلا دليـــل مســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حـــر بـــاً ، بـــل إزاحـــة كـــل فـــن المفلســـين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ـــريماً وتحلـــيلاً وزجـــر الخـــالفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نـــو مـــاً قـــد كفانـــا - ذي الليـــاليْ - ســـاهرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــبيحاتِ مبتهـــلٍ مـــع المتضـــرعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر ... نيمـــــاتِ مرتعـــدٍ مـــــع المتبتلـــــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ... ـــــهيراً بحفنـــــة ضـــــائعين ممثلـــــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ... ـــــديداً بهـــــزل الظـــــالمين الغـــــادرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان فقـــ ... ـــهاً حـول ربـع الـرأس ، أو بعض الجبـين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ... ـــــريراً لحـــــال الـــــدار والمتمســـــلمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــد ... ميـــــر الربـــــوع بتهمـــــة المتخـــــاذلين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان حـــر ... قـــاً فـــي دِنـــان الخمـــر ، ولـــيمض المُجـــون!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أقـــ ... ـــصوصاتِ أصـــحاب الرســـول المُكْـــرمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أنّـــ ... ـــــاتٍ لمَكلـــــوم بتعبيـــــر رصـــــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ... ـــــريم التوســـــل بـــــالقبور وبالـــــدفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــأ ... ثـــيم الـــذين بغيـــر ربـــي يحلفـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان هيـــ ... ـــــعة ضـــــارع بحماســـــة المتبتلـــــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــو ... زيـــع الـــدعاة عـــن الشـــمائل واليمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تحـــ ... ـــــريك القلـــــوب بقِصـــــة للســـــامعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان جعـــ ... ـــجعة الفـــرذدق فـــي ضـــمير الصـــامتين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صيـــ ... ـــحة عنتـــرٍ ، ولقـــد مضـــى المُتعنتـــرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان هجـــ ... ـــعة ضـــفدع ، يـــا خيبـــة المتخـــاوفين!

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تعـــ ... ـــطيل الحـــدود إلـــى زمـــان الآمنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تقـــ ... ـــنيط النفـــوس مِـــن الرجـــوع إلـــى المَتـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر ... قيـــــع الضـــــلالة بالأدلـــــة والـــــرنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تفـــ ... ـــعيل القصـــــيد ليُـــــبهج المُتعـــــاطفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يغـــ ... ـــــتال الـــــدليل ليُرضـــــيَ المتســـــلطين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر نيمـــاتِ ملتـــاع مـــع المتدرْوشـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أغـــ ـــرودواتِ مُبتـــدع مـــع المتنســـكين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان قـــر طاســـاً يُوزعـــهُ علـــى المتجـــاهلين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان نقـــ ـــداً دون أن يصـــف الطريـــق المســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يخـــ ـــلط نـــوره بظـــلام مَـــن يســـتكبرون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رفـــ ـــع مصـــاحفٍ بمســـيرة المتضـــجرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ـــييع الجنـــائز ، ثـــم دفـــن الميّتـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تبـــ ـــسيط العقائـــد بـــالهوى للمُتـــرفين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ذبـــ ـــح عقيقـــةٍ تكفـــي التهـــام الجـــائعين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر طيـــب القلـــوب بآيـــةٍ حتـــى تلـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان شـــر حـــاً فـــي مناقـــب أمهـــات المـــؤمنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تنـــ ـــوير العقـــول بـــذكر حـــال الأولـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــييد البشـــير المصـــطفى الهـــادي الأمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زخـــ ـــرفة الصـــوامع بالبيـــاريق والفنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تمـــ ـــييع القضـــايا فـــي دهـــاليز الظنـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تيـــ ـــسييراً علـــى الأقـــوام حينـــاً بعـــد حـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تخـــ ـــطئة الهُـــداة العـــالِمين الصـــادقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تشـــ ـــويه التقـــاة ، يُبيـــد عِلـــم مجـــدّدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صيـــ ـــد مزالـــق العثـــرات مِـــن مُتحـــذلقين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تـــر تـــيلاً وتجويـــداً لقـــرآنٍ مبـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان زهـــ ـــداً وانغماســـاً فـــي دروب الزاهـــدين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان يثـــ ـــــبتُ نفعـــــه وعلاجـــــه للعـــالمين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان معـــ ـــــلوماتِ حـــيضٍ أو نفـــاسٍ تســـتبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان طـــأ طـــأة الـــرؤوس تـــذللاً للجـــائرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــــويل البـــرامج والقـــراءة والـــرنين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تكـــ ـــثير الصـــوامع فـــي قـــرى المتحضـــرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان رد عـــاً ، أو ردوداً ضـــد مـــن يتهجمـــون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان ســـ ـــداً للـــذرائع ضـــد مَـــن يتشـــدقون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تقـــ ـــديم الأيـــادي للـــذين يُنـــافحون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صـــر ف الجـــن بالآيـــات فـــي دنيـــا العمـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تطـــ ـــبيق الحنيفـــة عـــن طريـــق النـــاخبين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تخـــ ـــريج الصـــحيح ، كـــأنهم مُتحـــدثون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أعـــ ـــذاراً ، رآهـــا للألـــى يُستضـــعفون

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان أشـــ ـــعاراً ، تعاورهـــا وغشـــاها الحنـــين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان إر هاصـــاتِ حـــب للـــدعاة الثـــائرين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان تســـ ـــليم الريـــادة ، ثـــم قهـــر الخـــارجين

وغـــدا فريـــقٌ يعـــرضُ الفرقـــان صبـــ ـــراً ، وانتظـــارا للقيامـــة أن تحـــين

وأراهـــمُ قـــد ضـــيّعوا ، قـــد بـــددوا بجهالـــةٍ وحماقـــةٍ هَـــدي الأمـــين

لا يفهـــم الفرقـــانَ إلا مَـــن درى توحيـــدَه ، وأصـــوله ركـــنٌ ركـــين

وحقيقـــة الفرقـــان جـــد عقيـــدة للحـــق أفـــذاذ مضـــوْا فـــي الخالـــدين

دفعـــوا مقابـــلَ صـــدقهم أرواحَهـــم لـــم يركنـــوا ، أو يركعـــوا للغاشـــمين

وكـــأن وحـــي الحـــق تملكـــه شـــرا ذمُ جوقـــة الجهـــال والمترخّصـــين

لا يملـــك الفرقـــان إلا ربـــهُ مهمـــا ادّعـــاه الأدعيـــاءُ الكـــاذبون

زعمـــوا التشـــدق بـــالترخص مجـــدياً ... وهـــو البليـــة فـــي مهـــاوى الآثمـــين

راحـــوا بجهـــل يربتـــون علـــى شـــيا ... طـــين تعـــاظم أمـــرُهم فـــي العـــالمين

هـــــلا تعلـــــم هـــــؤلاء جمـــــيعُهم ... فـــــي دار أرقمنـــــا بنـــــور مســـــتبين

وتفهمـــوا ، وتدارســـوا ، وتســـاءلوا ... كيـــف الطريـــق إلـــى خليلـــه مُخلصـــين؟

وتجـــاذبوا التوحيـــد مـــنهج ســـعيهم ... وتعلمـــوا الإخـــلاص منهـــاج الأمـــين

درســـوا العقيـــدة ـ بعـــد ذلـــك ـ حِســـبة ... إن العقيـــدة مِـــن منابعهـــا تبـــين

لـــو ينبـــري مـــنهم فريـــقٌ ثـــم يـــد ... عـــو قومنـــا بـــالحق للنـــور المبـــين

جعـــل العقيـــدة مطلبـــاً ، وكـــذا رأى التـــ ... ـــوحيد يـــنقصُ هـــؤلاء المشـــركين

والهَـــدْيُ توحيـــدٌ ونـــورُ عقيـــدةٍ ... والهَـــدْيُ حُكـــمُ الســـلم دنيـــا العـــالمين

والهَـــديُ أخـــذ النـــاس عـــن معبـــودهم ... ثـــم اتبـــاع رســـوله الهـــادي الأمـــين

والهَـــدْيُ توحيـــد الشـــعائر والشـــرا ... ئـــــع جُملـــــة لله رب العـــــالمين

والهَـــدْيُ تحكـــيم الكتـــاب وسُـــنة الـــ ... ـــعدنان فـــي أركـــان دار المـــؤمنين

والهَـــدْيُ قـــال الله ، قـــال نبيـــهُ ... وصِـحابهُ ، لا قـال (مـاركسُ) أو (لنـين)

والهَـــدْيُ وحـــي الله يســـري نـــوره ... ليصـــير واقـــع عُصـــبة المستمســـكين

والهَـــدْيُ يُحْيـــي أمـــة تحْييـــه فـــي ... أركـــان واقعهـــا ليَهـــديْ الحـــائرين

والهَـــدْيُ واقـــعُ مـــنهج وعبـــادةٍ ... يعلـــوه تجريـــدُ اتبـــاع للأمـــين

والهَـــدْيُ جـــذرٌ ، والحيـــاة بُـــريعمٌ ... ومناســـكُ الإســـلام بينهمـــا الغصـــون

مَـــن حـــاط هَـــدْيَ الله مِـــن كـــل الجـــوا ... نـــب حاطـــه ، وأراهُ فـــي عَليـــاء ديـــن

ركـــب الســـفينة يبتغـــي فيهـــا النجـــا ... ة ، ولـــيس ينجـــو مـــن قـــلا هـــذا الســـفين

نـــوحٌ عليهـــا راح يـــدعو قومنـــا ... لكـــنهم قـــالوا مقالـــة أولـــين

ســـبحان ربـــي ، إن شـــرك الأوليـــ ... ـــن أراه فـــي الأقـــوام شـــرك الآخـــرين!

أبتـــاه قـــد جـــرح الكـــلام عـــواطفي ... ومشـــاعري أضـــحتْ ينازعُهـــا الحنـــين

إن قلـــت ذلـــك ســـوف أصـــلى ظلمهـــم ... ولســـوف أبقـــى - فـــي عـــذابهمُ - الـــرهين

وأكـــون بعـــدُ فريســـة فـــي أســـرهم ... لأذوق مـــا كتـــب الإلـــه علـــى الجبـــين

ويـــذوق أهلـــي لوعـــة الحرمـــان فـــي ... شـــهم أبـــيٍّ مـــا انحنـــى للغاصـــبين

هيـــا اســـتمعْ لـــي فـــي ثبـــات يـــا أبـــي ... تلـــك الحقيقـــة ، لســـتُ فيهـــا بالضـــنين

ولـــئن بقيـــتُ أقـــول هـــذا بيـــنكم ... فلســـوف يَقهـــر صـــرختي نصـــبُ الكمـــين

ليســـت حـــروبُ المخلصـــين جديـــدة ... هـــي مِـــن عهـــود الســـابقين الأولـــين

مـــا لـــم نـــذد عـــن هَـــذْينا ، فخروجُنـــا ... مـــن بأســـنا واللهِ مـــن عـــين اليقـــين

ولـــئن رحلـــتُ فلســـتُ أول مـــن مضـــى ... وكـــذا أرانـــي لســـت آخـــر مُهـــدَرين

ولـــئن حُرمـــت حليلتـــي ، فلهـــا إلـــ ... ـــه الكـــون ، ثـــم الصـــحبة المتعاهـــدون

وكفـــى عيـــالي أننـــي لـــم أســـتكن ... للظـــــالمين ولـــــم أذل لمُعتـــــدين

ولســـوف يـــذكرني الجميـــعُ مَـــن اتقـــوْا ... وكـــذا ســـيذكرني الرفـــاقُ المترفـــون

إنـــي تركـــتُ لزوجتـــي وعيالهـــا ... ربـــاً بصـــاعقةٍ يُـــذل المُلحـــدين

ولســـوف يـــذكرني عيـــالي بعـــدما ... يمضـــي الهـــوانُ ، وبعـــد تبديـــد الـــدجون

ولســـوف تـــذكر طفلتـــي هـــذي المـــوا ... قـــف ســـاعة ، وتقـــول: لســـنا آســـفين

إنـــا احتســـبنا فـــي الإلـــه شـــهيدنا ... وتقـــول: ربـــيْ تولـــهُ فـــي الفـــائزين

للهـــم نـــقّ نضـــاله مـــن همـــزةٍ ... مـــن لمـــزةٍ ، أو مـــن ريـــاء القـــائلين

للهـــم واجعلهـــا شـــهادة مخلـــصٍ ... يرجـــو بهـــا مرضـــاة رب العـــالمين

مـــازال نصـــحكِ فـــي فـــؤادي طفلتـــي ... متأججـــاً ، ولأنـــتِ خيـــر الناصـــحين!

ولقـــد رأيـــت عزيمتـــي يـــا والـــدي ... ليســـت بإرهـــاصٍ ولا ذلٍ تلـــين

هـــي منحـــة الـــرحمن للإنســـان فـــي ... قلـــبٌ - بغيـــر الحـــق - مـــذمومٌ دفـــين

ولقـــد رأيـــت عقيـــدتي وصـــرامتي ... للهـــم فاحفظهـــا مِـــن المتفـــاخرين

لـــــيس التفـــــاخر ديـــــدني ، لكننـــــي أرجـــــو بـــــذلك عِبـــــرة للســـــامعين

فـــــادرس إذن مـــــا قلتـــــهُ وذكرتـــــهُ ثـــم انتظـــر لـــيَ عـــودة حتـــى تحـــين

إن القضـــــية لـــــيس تعنـــــي أننـــــا نتبـــــــــادل الآراء كالمتفلســـــــــقين

هـــي فـــي حقيقتهـــا حصـــائد عمرنـــا هـــي زادنـــا ، والكـــل حتمـــاً زائلـــون

أنقابـــــل الـــــرحمن يســـــعى نورنـــــا ونقـــول: أتـــتمْ نورنـــا فـــي المتقـــين؟

أم ليتنـــــا كنـــــا ترابـــــا يُـــــزدرى كنـــــا بكـــــل صـــــراحة متمســـــلمين؟

وأظـــــن إبلـــــيس اللعـــــين يقولهـــــا: (هـــــذا كـــــلام الخـــــائبين الســـــاذجين)

صـــــدقته ، كذبتـــــه ، ســـــتموت وحـــــ ـــدكَ يـــا أبـــي ، ونصـــير يومـــاً ميّتـــين

ولـــــئنْ أبيـــــتَ طريـــــق قـــــوم أســـــلموا فـــإلى اللقـــا فـــي يـــوم نبعـــث أجمعـــين

حملٌ بين الذؤبان (الأستاذ عبد الكريم)

(إنه ليُفترض فيمن يُدير مؤسسة أو مصنعاً أو منشأة أن يكون حكيماً واعياً. وتزداد حِكمته ووَعيه إن كان يدير مدرسة! كما يجب عليه أنْ لا يغلّب جانب الأهواء والانتصار لحظ النفس طرفة عين. وإنه عندما تكون المسألة خاصة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف تصبح أكثر حساسية وعُمقاً. وواقعتنا هذه المُرة تتناول مُعَلماً أراد أن يُصلح فأفسد جزئياً. حيث إنه خيّر طلابه في إحدى الحصص الفراغية بين أن يسألوه فيجيب على أسئلتهم أو يسألهم هو فيجيبون عن أسئلته! فاختاروا أن يسألوه. وبما أنهم في الصف التاسع فقد جاوزوا الحُلم وجرى عليهمُ القلم. فكان المعلم صريحاً معهم في مسائل تتعلق بالزواج وممارسات المراهقة مستغلاً في ذلك تعطشهم للمعرفة ، ولم يكن يدري أنهم خبثاءُ الطوايا وفاسدو النوايا. وإنما سألوه ليُوقعوه في شِراك قد نصبوها وفخاخ قد أعدّوها ونيران قد أضرموها! بينما راح الأستاذ ينفتح معهم شيئاً فشيئاً حتى أسفوا الحديث فجاراهم في هذا الإسفاف ولم يزجرهم ، بل استمر الأمر على ذلك إلى أن تم لهم ما أرادوا. وانقلب للمعلم ظهرُ المِجَن ، ولم يشفعْ له 32 دقيقة كان قد التزم فيها بالآية والحديث والحكمة ، وكأنه لم يكن في الحصة إلا الدقائق الخمس الأخيرة التي فيها الإسفاف. وبدلاً من أن يدافع المدير عن معلمه ويبين حسن نيته ، فتح النار على نفسه وعلى المعلم وعلى المدرسة وعلى الطلاب! فنجا الجميع واحترق المعلم في أتون الفتنة الضارية التي أوقد نارها وأضرم سعيرها حمقُ مدير الغفلة! فشكا المعلم أمره إلى الله تعالى ، وفوّض أمرَه إليه. وتم إنهاء عقد المعلم من أجل إرضاءً لوالد أحد الطلاب الذي كان من أجهل الناس ، ولا أكون مبالغاً إن قلت: كان أجهل من الدواب ، حيث إنه جمع بين الأمر ونقيضه! إذ كيف لأستاذ في الجامعة أن يكون بهذا التفكير وبهذه الانتقامية الغبية! ولقد كنتُ حاضراً وجادلته فألفيته لا يصلح أن يرعى تيوساً في مزرعة فضلاً عن يُعلم أبناء في الجامعة! ولكنه استغل الموقف أسوأ استغلال ، ولم يتريث في الأمور. فكان المعلم بين ذؤبان لا ترحم: طلاب أوقعوه واستدرجوه ، وإدارة غير حكيمة أدانته زوراً وبُهتاناً ، ووالد أحد الطلاب هدده وتوعده ، إضافة إلى بعض أولياء أمور طلاب تشفوا بالإنابة وحاربوا المعلم بالوكالة! وأشهد بالله أن هذا المعلم مظلوم ولا شك! وأسأل الله أن يُعوّضه وينتقم ممن ظلموه عاجلاً غير آجل! إنّ كل ظالم له نهاية وله حساب! أما المظلوم فلو تأمل في موعود الله: (لأنصرنك ولو بعد حين) لهدأت نفسه ، وانبسط خاطره ، وانشرح صدره ؛ وانفتحت أساريره ، لأن الله تعالى لن يُضيعه ، ولو توجّه إلى الله شاكياً فسينتقم له من ظالمه ولو بعد حين: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). هكذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ بن جبل: (...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). [متفق عليه]. وليُعلم أن المظلوم دعوته مستجابة! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده". (حسّنه الألباني). وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحْمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب: لأنصرنك ولو بعد حين) ، [أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني]. ورواية أخرى للحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ). رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ

فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ). رواه الترمذي. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ). رواه أحمد. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ). رواه أحمد. وروى ابن المبارك عن رياح بن عبيدة ، قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ، فقال عمر: مهلاً يا رياح! إنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضلُ عليه! وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ). رواه البخاري. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار}. [رواه مسلم]. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه! قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: {أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} وهو ظالم. ودعوة المظلوم تصعد إلى السماء كالشرار: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار" [صححه الألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً: فعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال:" دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه". [أخرجه أحمد وغيره ، وحسنه ابن حجر والألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كان كَافِراً فإنه ليس دُونَهَا حِجَابٌ". (صححه الألباني). ومن هنا يجب الحذر من دعوة المظلوم ، فإنها وصية النبي لأصحابه - وهم أبعد الناس عن الظلم -: (يا معاذ...واتق دعوة المظلوم). [متفق عليه]. (يا علي اتق دعوة المظلوم...). [أخرجه ابن حبان بإسناد حسن]. "ولنتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويّهم على ضعيفهم ، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه ، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء ، وهذه سُنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويُعيدها كما بدأها" (ابن القيم). واحذر عداوةَ مَن ينام وطرْفه باكٍ يقلب وجهه في السماء يرمي سهاماً ما لها غرضٌ سوى الأحشاء منك..." (ابن القيم). ومن هنا تأثرتْ بالموقف ، وشرعتُ في الكتابة عنه! ووقع تفكيري وأنا أحاول أن أتخيل كيف أبدأ وعلى أي بحر وعلى أي قافية! واستقرّ الرأي على محاكاة شوقي في انتصاره للمعلم! ذلك أنني أحاول هنا أن أبيّن الحق ، وأكشف عَوار إدارة لا تستحيي بالمرة ، وأدافع عن المعلم اليوم كما دافع عنه شوقي بالأمس في ثلاثينيات القرن المنصرم! ولشوقي الفضل بعد الله ، ولي شرف المحاولة والمعارضة ، وأجري على الله. هذا ولقد أيدت رؤية شوقي وتبنيتها في قصيدة: (جاز المعلم وفه التبجيلا!) 111 بيتاً! وتأتي قصيدتنا: (حمل بين الذؤبان) لمناسبة خاصة عندما كانت هذه التمثيلية المكشوفة والمؤامرة الدنيئة والمسرحية الهزلية التي حِيكت للأستاذ الحبيب عبد الكريم علي رجب أحد كرام أهل (ظفر) في مدرسته التي جمعتنا معاً في دار غربتنا! ولما كانت الإدارة ضعيفة هشة مهترئة حاقدة جاهلة سفيهة تم للأباء والأمهات المغرضين ما أرادوا! والأصل أن يقوم تحقيق عادل

ومنصف يستهدف بيان الحق! أما أن يتحكم الآباء والأمهات في القضايا المصيرية للمدرسة فهذا طيش ونزق يتورع عنه أي مدير يفقه ألف باء الإدارة! وعموماً مثل هذه النوع من الإدرارات لا يعمر طويلاً! لأن تغول الآباء والأمهات سوف يلحقه ويزاحمه ويقصيه عن منصبه يوماً ما! عندما تحمستُ للأستاذ عبد الكريم كانت هذه القصيدة ترجمة لهذا الحماس! وأسأل الله أن يجند قلمنا للحق ويؤيده بالحق!)

اهـــجُ المعلـــمَ كـــي يُـــرى مَـــذلولا ... واضـــربْ دُفوفـــك ، واســـبكِ التطبـــيلا

أضـــحى المعلـــم مُســـخة لحُثالـــةٍ ... هـــي فـــي احتبـــاك الإفـــكِ أكـــذبُ قِـــيلا

ولقـــد تزيـــد علـــى الكُذيبـــة كِذبـــة ... والكِـــذبُ أخبـــثُ عـــادة ومُيـــولا

هـــان المعلـــمُ فـــي زمـــان جهالـــةٍ ... فمضـــى يُصـــارعُ مُغرضـــاً وجهـــولا؟

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف ســـاءت حالـــه ... حتـــى بكـــى دَوْراً لـــه مغفـــولا؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف كابـــد ثاويـــاً ... فـــي النـــاس يـــدأبُ لاهثـــاً ومُجـــيلا؟

بـــين التلاميـــذ الألـــى لـــم يرحمـــوا ... حـــال المعلـــم مُـــذ غـــدا مَـــذلولا

وإدارة لمّـــا تـــؤدِ حُقوقـــه ... كـــلا ، ولـــم تجـــز الجميـــلَ جَمـــيلا

فـــي حِصـــةٍ تاهـــت معـــالمُ دَربهـــا ... ولكـــل مَـــن حضـــروا بصـــائرُ حُـــولى

لـــم تتخـــذ لغـــة الحـــوار سَـــجيّة ... بـــل كـــل غِـــر أشـــهر التـــدجيلا

مِـــن كـــل تلميـــذٍ بضـــاعته الهـــوى ... فـــي الكيـــد أشـــهرَ حُمقـــه الضِـــليلا

وتعقبـــوا الأســـتاذ فـــي أقوالـــه ... كـــلٌ يُحَضـــر – فـــي المتاهـــة - سُـــولا

خبثـــتْ نوايـــاهم ، وأخفـــق ســـعيُهم ... إذ بيّتـــوا – عنـــد الجـــدال - ذحـــولا

نصـــبوا الشِـــباك ، ولـــم يُراعـــوا حُرمـــة ... والمكـــرُ أمســـى فاضـــحاً مَـــرذولا

وتظـــاهروا بـــالعلم يُضـــفي هالـــة ... قدســـية تســـتعجلُ المجهـــولا

أمـــا المعلـــم فـــانبرى لجـــدالهم ... وتـــلا – علـــى طلابـــه - التنـــزيلا

ســـاق الأدلـــة مثـــل شـــمس أشـــرقتْ ... ويحـــوز سَـــبقاً مَـــن يســـوق دلـــيلا

ومضـــى يـــزوّدُهم بـــوافر عِلمـــه ... ويُزيـــلُ – بعـــد بيانـــه - التجهـــيلا

مـــا انفـــك يُثـــري بعـــضَ معلومـــاتهم ... ليكـــون إثـــراءُ الخبيـــر بـــديلا

لـــم يـــألُ جهـــداً فـــي النصـــيحة ســـاقها ... حتـــى ترشّـــد أنفســـاً وعُقـــولا

هـــو مـــا أراد ســـوى البيـــان لســـائل ... كـــيلا ينـــاظر لا هثـــاً ومُجـــيلا

هـــو مـــا أراد ســـوى التبسّـــط مازحـــاً ... بعبـــارةٍ مـــا جُمّلـــتْ تجمـــيلا

حـــوتِ النكـــاتِ لكـــي تســـليَ خـــاطراً ... وتفيـــدَ مُعتكِـــرَ المِـــزاج جَهـــولا

لـــم يَـــدْر أن الدارســـين ثعالـــبٌ ... إذ أشـــعلوا – للعائـــدات - فتـــيلا

مكـــروا بأســـتاذٍ تعمّـــد نصـــحَهم ... واســـتدرجوه ، ونـــاولوه وُحـــولا

فانســـاق يَحسِـــبُهم ضـــحايا بيئـــةٍ ... عـــدلتْ عـــن الحـــق المبـــين عُـــدولا

فرمـــى بـــدلو فـــي النقـــاش علـــى المَـــلا ... ليكـــون مـــا هـــم أمّلـــوا تـــأميلا

نصـــبوا الشِـــباك ، فعرقلـــوا أســـتاذهم ... فاحتـــار فـــي أفعـــالهم مَـــذهولا

هـــو مـــا توقـــع أنهـــم خـــدمُ العِـــدا ... وكبيـــرُهم أمســـى الفتـــى المَـــرذولا

بـــك يـــا (ابـــنَ طرشـــان) غزتنـــا فتنـــة ... وأبـــوك عنهـــا أصـــبحَ المَســـؤولا

والنـــذلُ (أرشـــد) والشـــقية أمـــه ... إذ أوّلا مـــا قلتـــه تـــأويلا

طعنـــاك عـــن قصـــدٍ بأخبـــثِ خنجـــر ... و(الـــدلو) مـــدّ يـــد الوشـــاية طـــولى

و(عـــلاءُ) جـــاملهم ليخـــرج ســـالماً ... عجبـــاً لنـــذل يُـــتقنُ التمثـــيلا

بـــئس الإدارة أســـندت لحفالـــةٍ ... مَـــردتْ علـــى حبْـــك الخـــداع طـــويلا!

فغـــدا المعلـــمُ بـــين أخبـــثِ جَوقـــةٍ ... لـــم تتبـــعْ هـــدي الرســـول ســـبيلا

أفتـــتْ بـــلا علـــم ، وضـــلتْ ، واعتـــدتْ ... ويـــدُ التجـــاوز فـــي التخـــرّص طـــولى

وتوشّـــحتْ بالشـــائعات فلـــم تجـــدْ ... للمُعضـــلات المُوبقـــات حُلـــولا

بـــين الـــذئاب غـــدوت يـــا (عبـــد الكريـــ ... ـــم) تشـــفياً ، وتُـــرى عـــدمتَ بـــديلا

ظلمـــوك إذ أخـــذوا القـــرارَ تعنتـــاً ... وشـــفى كبيـــرُ المعتـــدين غلـــيلا

وانصـــاعَ للتهديـــد ينصـــرُ بـــاطلاً ... بنذالـــةٍ ، هـــي - فـــي القيـــاس - الأولـــى

لـــم يســـأل الشـــهداء ، لـــم يَســـتفتهم لمّـــا يســـلْ أهـــل المَشـــاهد سُـــولا

لـــم يتخـــذ لغـــة التفـــاهم مَنهجـــاً حتـــى يُحَصّـــلَ حقـــه تحصـــيلا

لمّـــا يكـــنْ فيمـــا أراد مُوفقـــاً إذ غلّـــبَ التســـفيه والتجهـــيلا

(عبـــدَ الكـــريم) رحلـــت تســـبقك المُنـــى وعســـى تحقـــق – فـــي الـــدنا - المَـــأمولا

ورعـــاك ربُ النـــاس خيـــرَ رعايـــةٍ وجـــزاك خيـــراً يـــا صـــديقُ جـــزيلا

بين الطالب ومعلميه

(في حفل الطلاب المتفوقين رحتُ أعبّر عن حوار بين طال بين طالب يودّعُ معلميه شعراً لينتقل من مدرستهم إلى أخرى! وتخيلتهم يردّون تحيته شعراً كذلك! وقد سألني ابننا فهد صدّيق العطار قائلاً: (بم تنصحني في قابل أيامي بشأن القراءة والتحصيل؟) فقلت: له أكمل دراسة (حلية طالب العلم لبكر بو زيد) فإن هذا مشروع بدأته معكم منذ سنة ونصف تقريباً وكنت لا أشعركم به! فقط كنت أدرّس وأبين وأترجم إلى الإنجليزية بالطبع! وكنت أحرص على أن أعدكم لكي تكونوا مثل سلفنا الكرام في اتباعكم للسنة والعمل بها واحترام المعلم! يقول الدكتور بكر بو زيد في مقدمة كتابه الرائع وسفره العظيم: (حلية طالب العلم) ما نصه: (إننا نعايش يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه ، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقي والنضوج في أفئدة شباب الأمة ، مدها ودمها المجدد لحياتها ، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون ، فلديهم من الطموح ، والجامعية ، والاطلاع المدهش والغوص على مكنونات المسائل ، ما يفرح به المسلمون نصراً ، فسبحان من يحيى ويميت قلوباً. لكن ، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة ، نشراً للضمانات التي تكف عنها العثار والتعصب في مثاني الطلب والعمل من تموجات فكرية ، وعقدية ، وسلوكية ، وطائفية ، وحزبية...وقد جعلت طوع أيديهم رسالة في التعاليم تكشف المندسين بينهم خشية أن يردوهم ، ويضيعوا عليهم أمرهم ، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب ، فيستلوهم وهم لا يشعرون. واليوم أخوك يشد عضدك ، ويأخذ بيدك فاجعل طوع بنانك رسالة تحمل "الصفة الكاشفة" لحليتك. فها أنا ذا أجعل سن القلم على القرطاس فاتل ما أرقم لك أنعم الله بك عيناً: لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الأدب ، ومكارم الأخلاق ، والهدى الحسن ، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام ، وأن العلم - وهو أثمن دُرة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه ، المتخلي عن آفاته ، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه ، وأفردوها بالتأليف ، إما على وجه العموم لكافة العلوم ، أو على وجه الخصوص ، كآداب حملة القرآن الكريم ، وآداب المحدث ، وآداب المفتي ، وآداب القاضي ، وآداب المحتسب ، وهكذا...والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي. وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب ، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف ، إذ كان بعض المدرسين فيه ، يدرس طلابه كتاب الزرنوجي (م سنة 593 هـ) رحمه الله تعالى ، المسمى: "تعليم المتعلم طريق التعلم". فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق ، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد ، وفي مواد الدراسة النظامية ، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تهذب الطالب ، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم ، وأدبه مع نفسه ، ومع مدرسه ، ودرسه ، وزميله ، وكتابه ، وثمرة علمه وهكذا في مراحل حياته).هـ.
فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا التخيل بين الطالب ومعلميه! وكان البدوُ بالطالب والختم بالمعلمين!)

جُـوزيتمُ الخيـرَ ، أنـتم خيـرُ مـن عملـوا! رغـم العنـاء ، وأنـتم خيـرُ مَـن بـذلوا!

أرشـدتموني إلـى الخيـور جامعـة وفـيكمُ انعقـد الطمـوحُ والأمـل

فكـم تحمّلـتمُ الأعبـاءَ مـا رحمـتْ ضـعفاً ، ولا غربـة نـاءت بمـن رحلـوا!

وكـم صـبرتم علـى مَريـر تجربتـي فـي العلـم أطلبـه أصـدّ مَـن جهلـوا!

وكـم أجبـتم علـى غريـب أسـئلتي! فزالـتِ الشـبَهُ الرعنـاء والعِلـل

وكـــــم تجـــــاهلتمُ الـــــزلاتِ ســـــبّبها ... جهلـــي حقـــوقَ الألـــى لرفعتـــي عملـــوا!

وكـــــم نصـــــحتم بـــــلا كـــــلٍ ولا ملـــــلٍ ... حتـــى اســـتغاث – مـــن النصـــيحة – المَلـــل!

وكـــــم رســـــمتم لـــــيَ الـــــدروب واضـــــحة ... مـــــن بعـــــدما استشـــــكلتْ أمـــــاميَ الســـــبل!

هنـــــاك فـــــي (الجـــــرف) صـــــرحٌ لا يُضـــــارعُه ... صـــــرحٌ بـــــه فـــــي التحـــــدي يُضـــــربُ المثـــــل!

(عجمـــــانُ) تـــــوقنُ أنـــــي لا أجـــــاملكم ... شـــأنَ الـــذين – مـــن التدشـــين – مـــا خجلـــوا

وإن (مدرســـــتي الوطنيـــــة) انتصـــــرتْ ... نصـــراً يُنبّـــهُ مَـــن – عـــن سَـــمتها - غفلـــوا

وحولهـــــا هـــــوتِ الصـــــروحُ مُعلنـــــة ... ســـــقوطها ، وهـــــوى الشِـــــعارُ والطلـــــل!

بفضـــــل ربـــــي أتـــــى النجـــــاحُ مرتـــــدياً ... ثـــوبَ الكرامـــة مـــا (البشـــوتُ)؟ مـــا الحُلـــل؟

ولســـــتُ أنكـــــرُ مـــــا أســـــدى أســـــاتذتي ... مِـــــن العطـــــاء بـــــه الأصـــــقاعُ تحتفـــــل

واليـــــومَ فـــــي حفلنـــــا أبـــــدي مبـــــاركتي ... وبالـــــدعاء لهـــــم بـــــالخير أبتهـــــل

يـــــا قـــــوم هـــــذا الـــــدعا فـــــأمّنوا ، وثقـــــوا ... فـــــي نصـــــر مَـــــن كلنـــــا – عليـــــه - نتكـــــل

ربّـــــاه بـــــالخير جُـــــدْ علـــــى أســـــاتذتي ... إنـــــي أراهـــــم ببـــــذل الخيـــــر مـــــا بخلـــــوا

ربـــــاه واشـــــمل بعـــــز منـــــك مدرســـــتي ... إنـــــي لأمـــــرك يـــــا رحمـــــن أمتثـــــل

يـــــا رب قلـــــت لنـــــا: ادعـــــوني ، ولا تهنـــــوا ... يـــــا مـــــن تجيـــــب دعـــــا قـــــوم إذا ســـــألوا

ولـــــيس أصـــــدقَ مـــــن رب الـــــورى أحـــــدٌ ... لـــــذا فـــــإني الـــــدعا إليـــــه أرتجـــــل

وأما المعلمون الكِرام فلم يقبلوا أن يقفوا مكتوفي الأيدي حِيال تحية طالبهم النبيل الشهم فهد صدّيق العطار من أهل عجمان ، بل تذكّروا قول الله تعالى: (وإذا حُييتم بتحيةٍ فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها) ، فراحوا يردّون تحيته شعراً على ذات بحره ووزنه وقافيته ورويّه فقالوا:)

رعـــاكَ ربـــك يـــا ذا المخلـــصُ البطـــلُ ... ونِلـــت مـــا تشـــتهي يـــا أيهـــا الوَجـــلُ

وخصّـــــك اللهُ بـــــالتوفيق ، أنـــــت لـــــهُ ... أهـــــلٌ ، وســـــعيُك – بالإيمـــــان - مكتمـــــل

وعشـــت مـــا عشـــت فـــي جُلـــى ومَكرُمـــةٍ ... وصـــحّ منـــك الصُـــوى والقـــولُ والعمـــل

وحُـــزت بـــين بنـــي الإنســـان منزلـــة ... لهـــا - بـــرغم الضـــنا - بـــين الـــورى ثِقـــل

نـــــراك تشـــــكرنا علـــــى رســـــالتنا ... إنـــا – مـــن العلـــم – يـــا تلميـــذنا رُسُـــل!

فهـــل علـــى واجـــب شـــكرٌ لتبذلـــه؟ ... وتلـــك مســـألة يُـــزري بهـــا الجـــدل

إنـــا بـــذلنا الـــذي اســـطعناه تكرمـــة ... وعنـــد ربـــك مـــا نســـدي ونحتمـــل

ونحـــن ماضـــون ، والـــذكرى فباقيـــة ... وعنـــد ربـــك رزقُ العبـــد والأجـــل

نوصـــيك داومْ علـــى جُهـــدٍ عُرفـــت بـــه ... فـــلا يصـــدنْك – عـــن هـــذا المَضـــا - حِـــوَل

فارقتنـــا يـــا فتـــىً نأســـى لفرقتـــه ... والـــدمعُ مـــن كـــل عـــين بـــات ينهمـــل

يـــا ســـعدَ مدرســـةٍ تكـــون طالبهـــا ... لقـــد يطيـــبُ لـــك التحويـــلُ والنقـــل!

لكـــنّ ذكـــراكَ صـــدقاً لـــن تفارقنـــا ... أبـــئسْ بسِـــتر علـــى الأحبـــاب ينســـدل!

ألـــم تـــر الـــزملا تســـبي زيـــارتهم ... عيـــونَ مَـــن يرصُـــدُ اللقيـــا فينـــذهل

كـــلٌ يـــزورُ فتشـــجينا زيارتـــه ... مضـــى صـــبياً مضـــى ، فـــإذ بـــه رجـــل!

نوصـــيك زرنـــا ، ولا تنكـــأ جراحتنـــا ... فلـــيس جـــرحُ النـــوى فـــي التـــو ينـــدمل

إنـــا علـــى العهـــد والتوديـــع موعـــدنا ... وباللقـــاء ســـرورُ الـــنفس يكتمـــل

نوصـــيك فـــاحرص علـــى احتـــرام مـــن خلفـــوا ... عليـــك فـــي رحلـــة التعلـــيم ، واعتـــدلوا

مُعلمـــوكَ ، فكـــن مِرســـالَ تربيـــةٍ ... حتـــى يقولـــوا: لقـــد ربّـــوا ، لقـــد بـــذلوا

وقـــاك ربـــك مـــا نحيـــاه مـــن محـــن ... فيهـــا تســـاوى شـــهيُ التمـــر والـــدقل

واللهَ نســـــألُ أن تعـــــيشَ مُحترِمـــــاً ... شـــأنَ المعلـــم والتعلـــيم ، يـــا بطـــل!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (بيني وبينك)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	بين الغموض والبيان	الرمل	النهوضُ	2
2	يا هذه اعدلي بين رضيعيك!	البسيط	الواحد الحكمِ	4
3	بين عالم شجاع وأمير رَجّاع	الرمل	المقتدرْ	9
4	بين نارين!	الخفيف	إلى النيرانِ	11
5	بينكما أنا الغريب!	الوافر	والأمنياتِ	14
6	توبة بين السماء والأرض	الخفيف	بين الأيامى	18
7	فقاقيعٌ بين الغموض والبيان	الوافر	والنهوضُ	21
8	الأندلس بين المجد والفقد	الكامل	ناصع التبيانِ	25
9	البطولة بين الظل والحرور	البسيط	ينهزمُ	51
10	الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ	الخفيف	سَورة الإجحافِ	52
11	الحلال بيِّن والحرام بيِّن!	الرمل	شتى الصورْ	54
12	بعد اليوم بين بين	الكامل	والغلواءُ	55
13	بغداد بين الازدهار والانهيار	البسيط	سر وإعلانِ	56
14	بين الأمس واليوم	الكامل	المتينْ	61
15	حملٌ بين الذؤبان (الأستاذ عبد الكريم)	الكامل	واسبكِ التطبيلا	81
16	بين الطالب ومعلميه	البسيط	من بذلوا	86

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (بيني وبينك)

نبذة عن الشاعر

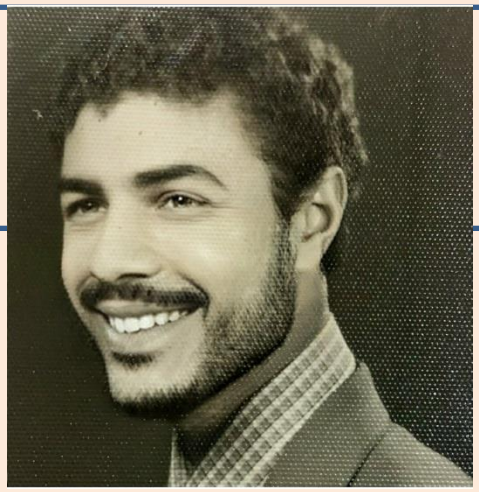

(الشاعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق! معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

أولاً: دواوين الشعر

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية)

ثالثاً: قصائد ذات شأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –

36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)
40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)

71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تعريب تبيني صدق لحامد زيد)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)
80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)

رابعاً: المجموعات الشعرية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!

22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية

خامساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond’s Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!